

سیرت حوزہ اصفہان

دفعہ ہفتم

محمد حواد نور محمد

مرکز تحقیقات و پایہ امی حوزہ علمیہ اصفہان

سرشناسه : نورمحمدی، محمدجواد، ۱۳۴۷
 عنوان قراردادی : میراث حوزه اصفهان
 عنوان و نام پدیدآور : میراث حوزه اصفهان، ج ۹، محمدجواد نورمحمدی
 مشخصات نشر : اصفهان - مرکز تحقیقات رایانه‌ای حوزه علمی اصفهان
 شابک : ۹۷۸-۶۰۰-۶۱۴۶-۳۳-۱
 وضعیت فهرست‌نویسی: فیبا
 موضوع : اسلام، فلسفه اسلامی، متون قدیمی تا قرن ۱۴
 شناسه افزوده : نورمحمدی، محمدجواد، ۱۳۴۷ - گردآورنده
 شناسه افزوده : حوزه علمی اصفهان، مرکز تحقیقات رایانه‌ای
 رده بندی کنگره : ۹۱۳۸۳ م ۳ س / BP۱۱
 رده بندی دیویی : ۲۹۷/۰۴
 شماره کتابشناسی ملی : ۳۵۱۷۲-۸۳ م



مرکز تحقیقات رایانه‌ای حوزه علمی اصفهان

■ میراث حوزه اصفهان / ج ۹

- به اهتمام : محمدجواد نورمحمدی
- پژوهش : بخش احیاء تراث مرکز تحقیقات رایانه‌ای حوزه علمی اصفهان
- ناشر : انتشارات مرکز تحقیقات رایانه‌ای حوزه علمی اصفهان
- چاپ و لیتوگرافی : اسوه
- نویت چاپ : اول زمستان ۱۳۹۱
- شمارگان : ۱۰۰۰
- بها : ۲۰۰۰۰ تومان

مرکز بخش: اصفهان - خیابان شهید مطهری - ابتدای خیابان اوردیه‌ت

مرکز تحقیقات رایانه‌ای حوزه علمی اصفهان

E-mail: info@hozeh.org

تلفن: ۱۵ - ۰۳۱۱ - ۲۳۴۴۶۱۰

WWW.hozeh.org

دورنگار: ۰۳۱۱ - ۲۳۴۴۶۱۰

شرح مناجات خمسة عشر

مؤلف: فقیه ذوفنون آیت الله ملا حبیب الله شریف کاشانی رحمته الله

تصحیح و تحقیق: قاسم ترکی

مقدمه

بار خدایا تو را سپاس می‌گوئیم از زمانی که ما را خلق فرمودی مُهر عبودیت و بندگی و فقر نسبت به ذات اقدس را با دو دست رحمانیت و رحیمیت بر هستی ما نقش فرمودی، «خَمَرَتْ طِينَةَ آدَمَ بَيْدَى»^۱ و هدف از آفرینشمان را رسیدن به این معرفت و عبودیت رقم زدی ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^۲. اما بندگان بدون مدد و عنایت کریمانه‌ات چگونه می‌توانند طی این مسیر کنند که راهی است بعید و طولانی و دریایی است ژرف و صراطی است حسّاس و دقیق؟ در روایت است: «یابن آدم، أكثر من الزاد إلى طريق بعيد، وخَفَّفَ الحمل فالصراط دقيق، وأخلص العمل فإنَّ الناقد بصير».^۳

و اگر راه وصال انسان را طولانی خواندی چون می‌دانستی که او کفور و ناسپاس

۱- عوالی اللئالی، ج ۴، ص ۹۸، حدیث ۱۳۸.

۲- سورة مبارکه ذاریات، آیه ۵۶. ۳- جواهر السنیة، ص ۱۶۲.

است ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾^۱ وگرنه ذات مقدست از ما به ما نزدیک تر است ﴿يَحُولُ بَيْنَ أَنْفَرٍ وَ قَلْبِهِ﴾^۲ ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْآرِيدِ﴾^۳ به هر حال حب و ذات بر کفران بندگان پرده پوشید و عز ربوبیت آنها را مخاطب ساخت و به بارگاه انس و مناجات با حضرت دعوت نمود ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^۴ و این دعا و خواندن را عبادت نامیدی که ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾^۵ حضرت باقر العلوم علیه السلام می فرماید: منظور از عبادت در اینجا دعاست و همانا بالاترین عبادتها دعا کردن می باشد.^۶

و حضرت سجاده علیه السلام در صحیفه سجاده می فرماید: خداوند دعا را به درگاهت را عبادت نامیدی و ترک آن را مصداق استکبار شمردی و بر ترک دعا و عبادت وعده وارد کردن ذلیلانه در جهنم را فرمودی.

و بی توجهی ات را مشمول حال انسانهایی قرار دادی که از حقیقت دعا غافل و بی خبرند ﴿قُلْ مَا يَغْبِؤُا بِكُمْ رَبِّي نُوَ لَا دُعَاؤُكُمْ﴾^۷، بلکه حقیقت و مغز عبادت را در لسان اولیائت «دعا» معرفی کردی «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ»^۸ چرا که دعا ظهور عجز و ضعف و ناتوانی انسان است و برای رسیدن به معرفت حق، سزاوار است که این سیر طی شود «وَلَمْ تَجْعَلْ لِلْخَلْقِ طَرِيقًا إِلَى مَعْرِفَتِكَ إِلَّا بِالْعَجْزِ عَنْ مَعْرِفَتِكَ»^۹ ای خدای جلیل و ای

۱- سورة مبارکه عادیات، آیه ۶. ۲- سورة مبارکه انفال، آیه ۲۴.

۳- سورة مبارکه ق، آیه ۱۶. ۴- سورة مبارکه غافر، آیه ۶۰.

۵- همان.

۶- الکافی، ج ۲، ص ۴۶۷، باب فضل الدعاء و الحث علیه، حدیث ۷.

۷- سورة مبارکه فرقان، آیه ۷۷.

۸- وسائل الشیعة، ج ۷، ص ۲۷، باب استصحاب الاکتار من الدعاء، حدیث ۹.

۹- الصحیفه السجادیه، ص ۴۱۷، فی مناجات العارفين.

رب الارباب ستایش ذات کبریاییات را سزااست که راه چگونه دعا کردن و چه درخواست کردن را توسط انبیا و اولیاء و معصومان به بندگان تعلیم فرمودی.

مناجات خمسة عشر بنابر آنچه علامه مجلسی در بحارالانوار فرموده در بعض کتب اصحاب از حضرت امام العارفين، سید الساجدين و زين العابدين، حضرت علی بن الحسين بن علی علیه السلام روایت شده است. امامی که حق تعالی اسماء و صفاتش را از چشمه قلب مطهر او به جوشش درآورد و لسان مبارک او را مظهر نجوای عرشیان و فرشیان قرار داد تا بندگان را از آب حیات معرفت سیراب گرداند و گوش جان آنها را به نغمه های ملکوتی و جبروتی دعا نوازش بخشد و چشم دل و جان و سر وجود ایشان را به معارف مشهود حق روشن سازد و غیر ایشان چگونه می تواند وصف یار کند و زبان به توصیف جانان بگشاید که ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾^۱

رساله حاضر شرح شش دعا از پانزده مناجات معروف به خمسة عشر است که به قلم فرید دهر و وحید عصر حضرت آیت الله العظمی ملا حبیب الله کاشانی، فرزند عالم جلیل القدر، ملا علی مدد ساوجی، صورت حیات یافته است. پیرامون پژوهش استناد این مناجات های پانزده گانه و سیر تاریخی بروز و ظهور آنها نیازمند مقالی مناسب است که امیدوارم در آینده فراهم شود.

این اثر را بر اساس عکس نسخه موجود به خط مؤلف که در مرکز احیاء میراث اسلامی به شماره ۸۸۱/۲ نگهداری می شود تحقیق و تصحیح کرده ایم و ارجاع های لازم پیرامون آیات، روایات و دیگر موارد را ارائه کرده ام.

از آنجا که پیرامون حیات و آثار این فقیه ژرف اندیش در مجموعه میراث حوزه

علمیه اصفهان به تفصیل سخن رفته است، از آوردن شرح حال ایشان در این مجموعه خودداری کرده‌ام.

امید است این اثر مورد رضایت خدای سبحان و حضرت ولی عصر - ارواح من سواه فداه - قرار گیرد.

والسلام

حوزه علمیه اصفهان - قاسم ترکی

۱۳۹۱/۱۲/۱

بسم الله الرحمن الرحيم

إلهي لساني، بثناء حضرته و متيماً جناني، بعلاء طلعت لا إله إلا هو القديم الديموم، فصلّ اللهم يا حبيبي! على من شرفته بمقام جذبك وأدنيته من ساحة قربك، فإنك لأنت الله المهيمن الكريم وعلى آله المجاهدين في سبيلك الحق بالحق والمقتفين له ليلك الصدق بالصدق الذين باحت بهم حقيقة أن لا إله إلا أنت الفرد الحي القيوم.

و بعد؛ فيقول الهادي إلى سبيل الإله، ابن علي مدد، حبيب الله: أن هذا شرح علّناه على الخمسة عشر من مناجاة علي بن الحسين سيد الساجدين - صلوات الله عليه - في كلّ حين مختصراً وجيزاً حاوياً على حقايق لم يطلع عليها إلا الصافون و جامعاً له قايق لم يسلك إليها إلا العارفون؛ و لكن لقد أجمالنا فيه القول كإجمالنا في شرحنا على الدعاء الذي تعلّمه كميل بن زياد عن عليّ عليه السلام لنلا نملّ من مطالعته الطالب، فيخرج عمّا قصدناه من أسرار المطالب فما أنا نحن لقد شرعنا فيما أردنا فانظروا فيه لعلكم تهتدون بما سطرناه.

المناجاة الأولى

قال عليه السلام: إلهي ألْبَسْتَنِي الْخَطَايَا تَوْبَ مَذَلَّتِي، وَ جَلَّلَنِي التَّوْبَاعِدُ مِنْكَ لِبَاسَ مَشْكَلَتِي، وَأَمَاتَ قَلْبِي عَظِيمُ جُنَايَتِي

لقد توجّه إلى بساط الأحديّة بوجه من الوجوه الخلقيّة و هو مقام جملة من درجات

المعرفة التي هي الإذعان بوجود الحق الأزلي المتقدّس عن الشئون النقصية، إذ معرفة الذات جلّ شأنه بما هو عليه من الكمال والجمال مختصة بحضرة الأحدية فلا يمكن لأحد أن يصفه حق الصفة أو يعرفه حق المعرفة، ذلك ظنّ الذين جهلوا بما ظهر من أمر الله كما ظهر وأولئك هم الغاؤون. فدعاه ﷺ بما هو الخاصّ بجنان ذاتيته واللايق بباب كينونته وهو الألوهية الجامعة لجميع مراتب الكمال والحاوية لدرجات الجلال والجمال إذ ما من صفةٍ واسمٍ إلّا وقد تطلق على المراتب الكونية الحادثة بوجهٍ من الوجوه، كالوجه المفهوميّ سوى تلك الصفة فإنّها خاصّة بكبريائه لا تطلق على غيره مطلقاً؛ كيف وتلك مشيرة إلى مقام جامعية الذات، لكلمات الصفات وهي مختصة بالحق - جلّ شأنه - وإلى مقام تقدّسه عن درك الأفهام وتنزّهه عن بلوغ الأوهام إلى ما له من المقام؛ كيف واشتقاقها إنّما هو من الوَلّه وهو التحير سميّ بها نفسه لتحير العقول في كنه معرفة ذاتيته وتولّه الأفهام في درك مقام كينونته؛ كيف وذاتيته لذاتية سازجية وكينونته لكينونية كافورية، لا إله إلّا هو الأزلي الحكيم.

وفي ابتدائه ﷺ بذلك الاسم، إشارة إلى أنّه لا ينبغي التوجّه إلّا إلى الموصوف بصفات الجمال ولا يليق التبتل إلّا إلى المنعوت بنعت الجمال، إذ غيره خلق لم يكن فكان و حادث موصوف بالإمكان معروف بالذلّ والهوان، فكيف يري العبد حاجته إلى من هو مثله فقير أم كيف يكشف عن مقصوده لدى من لا يقدر على سير، كيف وما سوى الحق - عزّ شأنه - لا وجود له إلّا بجموده، فلا له أن يتصرف في شيء حتى في وجوده، فينبغي أن يقبل على الحقّ القديم بوجه التضرع والمسكنة ويتوجّه إلى بساطة الكريم باعتراف الهوان والذلة، فإنّه لهو الحق الذي لا يقضي الحاجات إلّا هو ولا يكشف عن البليات إلّا هو، إذ لا إله إلّا هو الرحمن الرحيم.

وفي حذف آله النداء إشارة إلى مقام تجرّده ﷺ عن التعلق بالأسباب بأن غمض عن كلّ شيءٍ سواه وانقطع عن كلّ شيءٍ إلى حضرته تعالى بحيث لم ير بينه وبين الحق واسطة تحجبه عنه لكمال قربهِ ﷺ بصفاء قلبه عن التعلّقات والشئون حتّى عرف أنّه ما

من سبب إلا وهو مسببه وما من شيء إلا وهو مشيئه؛ كيف وهو السبب الأصلي الواقعي وهو العلة لجميع العلل الممكنة.

والحاصل أنه عليه السلام لكمال قربيه لقد تجرد عن الآلات إلى خالقها وعن الأسباب إلى جاعلها، فلم يعرف بينه وبين حبيبه حاجباً وإن كان هو الآلة، لمنافتها لمقام التوحيد الحقيقي الذي قد فاز به عباده الصالحون.

ويحتمل أن يكون الحذف لحفظ الأدب ومراعاته، إشارة إلى أنه تعالى أجل من أن يناديه العبد الدليل؛ كيف وهو الله السلطان الملك المتفرد القديم وأن يكون للإشارة إلى أنه تعالى ذات سازجي لا يمكن أن يتوجه إليه بالنداء فإنه تعالى متقدس من أن يعرفه شيء ومنتزه من أن يصفه شيء، فهو المعبود الذي لم يتوجه إليه نداء ولم يلق لجنابه ثناء؛ كيف وكل ذلك شأن من شئون الحدوث، فكيف ينبغي أن يتوجه به إلى بساط الوجوب، كلاً كلاً إنه عز شأنه لأجل من أن يكون له اسم وأعظم من أن يتصور له رسم وأرفع من أن يتوجه إليه بالنداء وأكرم من أن يهدي إليه بالثناء؛ كيف وهو الله العزيز الجبار.

وفي الإضافة إلى النفس الواحدة إشارة إلى ما هو فيه من مقام التوحيد ودرجة التجريد.

وقد فصلنا القول في ذلك في شرح دعاء كميل وإليه فليرجع الطالبون.

وإنما أقبل عليه السلام أولاً بالاعتراف بالذنب والإقرار بالجرم للإشارة إلى عظمة المولى وذلة العبد، فإن العبد إذا اعترف بخطائه وتقصيره في أمر مولاه، فكأنه قد صغر نفسه بالتصريح وعزفها ذليلة محتاجة لا يقدر على شيء وعرف أن من يعترف لديه لهو مولى جليل يقدر على كل شيء، فيقر بذنبه كي يرحمه ويصفح عن خطئته بكمال عطوفته، فالإقرار بالذنب متضمن لأمر:

منها: تجليل المولى وتعظيمه.

ومنها: تحقير العبد وتصغيره.

ومنها: إظهار أنه يخشى ويخاف من عقوبة المولى.

ومنها: إظهار أنه يرجو عفوهِ و صفحهِ.

ومنها: الاستغفار و الإقالة.

ومنها: أنه ليس سوى المولى من يفرّ العبد إليه من ذنبه و يستغفر منه لخطيئته.

و قد وردت الأخبار المتظافرة دالة على أن الاعتراف بالذنب و الإقرار بالعيب وسيلة

إلى رحمة الربّ و أنه هو التوبة حقيقة؛ و من يرجوها فليطلبها من الكافي^١ و غيره^٢.

قوله [عليه السلام]: أَلْبَسَنِي [الْخَطَايَا تَوْبَ مَذَلَّتِي]

أي: أخرمتني الخطيئات في طريق محبتك عن مقام العزة الدائمة التي خصصتها بمن أتاك سالماً من شرّ نفسه معصوماً عن متابعة قضية هواه، فإنه ما من عبد قد أطاعك و أتقاك في معصيتك إلّا و قد خلّعت به ثوب عزّتك و كرمته بتاج شرفك و شرفته بمقام جذبك و اذقته حلاوة قربك.

و ما من عبد قد عصاك و خالف أمرك و اتبع هوى نفسه إلّا و قد وكلّته إلى نفسه فأضله الشيطان بوساوسه و أغره بغروره و صدّه عن سبيل الحق إليك و منعه عن طريق الإقبال عليك و أحرمه عن لذة مشاهدة طلعتك و أبعدّه عن ملاحظة أنوار قدوسي و جهتك فظلّ مظلماً قلبه و بات ذاهلاً عن ربّه و أصبح محروماً عن حلاوة قرب خالقه و إن ذلك إلّا كمال المذلة، - عصمنا الله عنها بحسن عصمته - .

قوله [عليه السلام]: وَ جَلَّلَنِي [التَّبَاعِدِ مِنْكَ لِبَاسَ مَسْكَنَتِي]

من تجليل الفرس و هو أن تلبسه جُلّه و تغطّيه به.

أي: و أدلّني و قمصني قميص الذلّة و المسكنة بعدي عن بساط حضرتك و حرمانني

١- الكافي، ج ٢، ص ٤٢٦ - ٤٢٧، باب الاعتراف بالذنوب و الندم عليها.

٢- وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٥٨ - ٦٠، باب وجوب اعتراف المذنب لله بالذنوب و استحقاق العقاب.

عن مشاهدة لقائك و خسرا في معصيتك؛ كيف و ما من معصية مني إلا و هي حاجة بيني و بينك و مانعة من وصولي إليك و وقوفي بين يديك و إن ذلك إلا كمال المسكنة و تمام الذلة؛ كيف وأي ذلة أشد من حرمان العبد عن مشاهدة لقاء مولاه وأي مسكنة أكثر من مسكنة عاشقٍ منعه الموانع عن حضرة من توله.

و في إضافة المذلة و المسكنة إشارة إلى أن موصوفهما ليس إلا الممكن، فهما من الصفات الخاصة به فلا يتصف به العزيز الذي خضعت لعزته كل شيء و عنيت لسطوته كل شيء.

و في الإضافة إلى النفس الواحدة إشارة إلى مقام عدل الرحمن، فإنه يجزى كل نفس بما كسبت و لا يجزيها بما كسبته الأخرى، فلذا: ﴿لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلَاٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾^١.

و إلى أن للمعاصي تأثيرات بحسب من اقترفها فتؤثر في كل أحدٍ بقدر قابليته لذلك الأثر، فيلبس العاصي ثوب المذلة بقدره، فليتامل.

قوله ﴿إِنَّمَا أَتَى الْقُلُوبَ بِعَظِيمٍ﴾ [عَنْ جَنَائِبِي]

أي: وأغبر مرآة قلبي بغبار المعصية و كدر صفائه بكدورات الجناية؛ و فيه إشارة إلى أن القلب كما يصفى بالطاعات والعبادات و يحيى بماء التنبه في جميع الأوقات، كذلك يكدر بالسيئات و يموت بالخطيئات فلا يتعظ صاحبه بمواعظ الأصفياء و لا يتيقظ بكلمات الأولياء، فلا يهتدي إلى سبيل أهل الصفاء بل يصده الشيطان عن طاعة الرحمن و حججه الراشدين إلى مسالك الإيمان.

١- في المخطوطة: «المولود».

٢- سورة لقمان، الآية ٣٣. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَ آخِشُوا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلَاٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا تَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْفَرُوزُ﴾.

قال الصادق (عليه السلام): إذا أذنب الرجل خرج في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب انمحت وإن زاد زادت حتى تغلب على قلبه، فلا يفلح بعدها أبداً^١.

قال (عليه السلام): فَأَخِيهِ بِتَوْبَةٍ مِنْكَ يَا أَمَلِي وَبُغْيَتِي، [وَيَا سُؤْلِي وَمُنْيَتِي] لما اعترف بالتقصير وأقر بالذنب الكثير وطلب العفو ضمناً أراد أن يستقيل صريحاً تحقيقاً للألحاح المطلوب.

فقال (عليه السلام): فَأَخِيهِ [بِتَوْبَةٍ مِنْكَ]

أي: نور قلبي بأنوار طاعاتك وأزل عنه ما ترتب على معصيتي من الكدورات التي حجبته عن الفوز بتجلياتك وأحرمته عن مشاهدة طلعة قدوسيتك، فإنني قد تبت إليك خالصاً مخلصاً لا أقصد إلا وجهك، فأقبل توبتي حتى أكون من الذين صفت قلوبهم وحيث بمقام معرفتك وطابت نفوسهم بالمجاهدة في سبيلك، وفيه إشارة إلى أن بالتوبة يزيل كدورة القلب فيصفي كما كان أولاً.

وقد وردت الأخبار الكثيرة على أن النائب من ذنبه كمن لا ذنب له^٢ وهي دالة على ما ذكرناه البتة.

و الأمل: كالعمل، ضد اليأس والمراد به هنا المأمول في جميع الأمور.

و البغية بالضم: الحاجة والمراد المطلوب، وبالكسر: الحال التي تطلبها.

و المنية بالضم: ما تتمناه و ترجوه من الخير.

و السؤل بالضم: المستول.

و كل تلك الألفاظ مرجعها واحد و قد أشار (عليه السلام) بها إلى مقام عشقه، فإن العاشقين لا يطلبون من المعشوق إلا الفوز بخدمته والاتصال بحضرته، فهو غاية أملهم ونهاية

١- الكافي، ج ٢، ص ٢٧١، باب الذنوب، ح ١٣.

٢- الكافي، ج ٢، ص ٤٣٥، باب التوبة، ح ١٠؛ عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، ج ١، ص ٨٠، باب ٣١، ح ٣٤٧، فيهما «النائب من الذنب».

مقصودهم، ألا ترى إلى من يحبّ السلطان، لا يطلب إلاّ قربه و لا يرجو إلاّ صحبته و لا يرضى بالبعد عنه و إن كان له فيه الحكومة على أهل بلاد.

و أمّا من قصرت همّته و دنت رتبته يرجو من السلطان أن يتحكّمه على بلدة أو قرية، فالعاشق المخلص ليس له رجاء إلاّ الوصول إلى المعشوق و الفوز بمكالمته و مصاحبته، فلا يرى غنيمةً إلاّ في مناجاة الحبيب و محاضرتة و هذا هو مراد من يقول: «لا أدعوا إلاّ و دعائي مستجاب قبل الدعاء»، لأنّ حاجته ليست إلاّ أن يوفّق لمكالمة الحقّ، فإذا نطق بالدعاء و لهج بالثناء فقد قضت حاجته.

و أمّا القاصرون من أرباب الكون فلقصور همّتهم و انحطاط درجتهم لا يطلبون من الحقّ إلاّ الاستراحة مع الحور في القصور أو غير ذلك من نقايس الأمور و مثل ذلك في انحطاط الرتبة إنّما هو مثل من يطلب من السلطان حكومة البلدة.

فيا طوبى للعاشقين الذين لا يرضون إلاّ بقرب الحق و لا يرجون إلاّ الفوز بحضرته، فإنّه يتجلّى فيهم بصفة عطايفته و يتطلّع في قلوبهم باسم رأفته، فلهم جنة القرب و الرضوان كما قال: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾^١ و إلى ذلك أشار بقوله: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر [إلى آخره]^٢ و هنا تفاصيل تطلب من مظانّها.

قال ﷺ: قَوْعَزَّتِكَ وَ جَلَالِكَ مَا أَحَدٌ لِّذُنُوبِي سِوَاكَ [غَافِرًا وَ لَا أَرَى لِكُشْرِي غَيْرَكَ جَابِرًا وَ قَدْ خَضَعْتُ بِالْإِنَابَةِ إِلَيْكَ وَ عَنَوْتُ بِالْإِسْتِكَانَةِ لَدَيْكَ فَإِنْ طَرَدْتَنِي مِنْ بَابِكَ فَبِمَنْ أَلُوذُ] وَ إِنْ رَدَدْتَنِي عَنْ جَنَابِكَ فَبِمَنْ أَعُوذُ

لما توجه إلى الحق بالاستغفار بعد الاعتراف و الإقرار، أقبل عليه بوجه التوحيد

١- سورة التوبة، الآية ٧٢.

٢- عوالي اللآلي، ج ٤، ص ١٠١، ح ١٤٨؛ بحار الأنوار، ج ٨، ص ٩٢، الباب الثالث و العشرون، الأقوال في طوبى لهم.

والتجريد مشيراً إلى الأمر كله بيد الحق لا يعارضه شيء ولا يتصرف في ملكه شيء، بل هو ملجأ كل شيء ومنجا كل شيء.

فقال [عليه السلام]: **فَوَعَزَّتْكَ وَجَلَّالِكَ**

أي: فبعد ما عرفت إنك لأُملي ومني، أقسم بألوهيتك التي قهرت تحت عزتها كل شيء وبسلطانيتك التي ذلت لعظمتها كل شيء، فلا شيء إلا وهو ذليل تحت عزة ألوهيتك ومقهور تحت عظمة سلطنتك.

قوله [عليه السلام]: **مَا أَجِدُ [لِذُنُوبِي سِوَاكَ غَافِرًا]**

أي: ما أعرف أنا في مقامي هذا بين يديك من استغفر لديه مما اقترفته من معصيتك؛ كيف ولا يغفر الذنوب سواك لأنك لأنت الإله المولى، فهل يستغفر العبد غير مولاه؛ كيف ولا يقدر غيرك على شيء حتى يتصرف في أمر ذنوبي بالغفران، فلا يستطيع سواك على شيء حتى يقدم إلي بالاحسان؛ كيف كيف وأنت السلطان القادر الذي تفعل ما تشاء وتترك ما تشاء ولا راد لإحسانك أحد ولا معارض لحنايتك شيء؛ كيف وأنت على كل شيء قدير.

و الكسر: ضد الصحة والمراد هناك العقل بمتابعة النفس الأمانة، فإن من يتبع هوى النفس يحرم عن مقامات العقل ودرجات نوره، فيعمى عن نور المعارف الحقّة و فيصم عن الألحان الجذبيّة، فلا يحصل له السعادة بمقام القرب الرحماني والجذب السبحاني.

قوله [عليه السلام]: **جَابِرًا مِنَ الْجَبَرِ وَهُوَ إِصْلَاحُ الْمَكْسُورِ** والمراد به هنا الغفران والصفح عن الذنوب التي كدّر بها العقل وإطفاء بها نوره.

قوله [عليه السلام]: **وَقَدْ خَضَعْتُ [بِالْإِنَابَةِ إِلَيْكَ]**

أي: ولما عرفت أن الأمر ليس إلا بيدك، تغفر من تشاء ولا غافر سواك، فقد لبست قميص الخضوع والذلة لدى بابك، فقدمت إليك مفرأ إلى جنابك راجعاً عما كنت فيه من معصيتك إلى طاعتك وقد فصلنا القول في الإنابة والفرق بينها وبين التوبة في شرح دعاء كميل وإليه فليرجع إن كنت طالباً.

قوله [عليه السلام]: وَعَنَوْتُ

من عني الرجل، إذا خضع وذل، ومنه قوله: ﴿وَعَنَيْتُ الْوُجُوهُ﴾^١ أي: وألبست على نفسي ثوب العناء والخضوع، فتوجهت إليك بوجه التضرع والمسكنة.

فَإِنْ طَرَدْتَنِي [مِنْ بَابِكَ]

أي: منعني من فيض باب رحمتيتك الذي به يتوجه إليك كل شيء.
فَيَمْنُ الْوَدُ

أي: التجاء وليس سواك ملجأ، بل إليك يلتجأ كل شيء؛ فكيف ينبغي أن يلتجأ إلى ما ليس له ملجأ إلا أنت.

و يحتمل أن يكون المراد بالباب هو الأنبياء والأولياء الذين هم أبواب الله، فلا يمكن الوصول إلى الحق إلا بوساطتهم، كما ورد عليه أخبار كثيرة^٢، فتأمل.

قوله [عليه السلام]: وَإِنْ رَدَدْتَنِي [عَنْ جَنَابِكَ فَيَمْنُ أَعُوذُ]

أي: وإن احرممني عن ظلك ورحمتك فمن يأويني.

والجناب بفتح الجيم: الفناء وما قرب من محلّه القوم، كذا قيل.

قال [عليه السلام]: فَوَا أَسْفَى مِنْ خِجْلَتِي وَافْتِضَاحِي [وَأَلْفَاهُ مِنْ سُوءِ عَمَلِي وَاجْتِرَاحِي،
أَسْأَلُكَ يَا غَافِرَ الذَّنْبِ الْكَبِيرِ وَيَا جَابِرَ الْعَظَمِ الْكَبِيرِ أَنْ تَهَبَ لِي مُوبِقَاتِ الْجَرَائِرِ وَتَسْتُرَ
عَلَيَّ فَاضِحَاتِ السَّرَائِرِ، وَلَا تُخْلِنِي فِي مَشْهَدِ الْقِيَامَةِ مِنْ بَرْدِ عَفْوِكَ وَغَفْرِكَ وَلَا تُغْرِبْنِي
مِنْ جَمِيلِ صَفْحِكَ وَسَرِّكَ.

لَمَّا تَقَدَّمَ إِلَى الْحَبِيبِ بِالْمَكَالَمَةِ وَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ بِالْمَحَاضِرَةِ وَاجْتَرَأَ عَلَى الْمَخَاطَبَةِ تَذَكَّرَ

١- سورة طه، الآية ١١١.

٢- الكافي، ج ١، ص ١٩٣، باب أن الأئمة عليهم السلام خلفاء الله في أرضه وأبوابه التي منها يؤتى،
ح ٢؛ وانظر: الاعتقادات في دين الإمامية، ص ٩٤، باب الاعتقاد في عدد الأنبياء
والأوصياء عليهم السلام.

ما اقترفته نفسه من معصيته ومخالفته و عرف ما ترتب على ذلك من البعد و الحرمان عن مقام الرشد، فتأسف على ما فات منه من كمال النفس و تهذيبها و قربها إلى الحق و تلتهف على ما أُحرِمَ عنه من لذات مشاهدة الربِّ في درجات الجذب.

فقال: **فَوَا أَسْفَى**

وا: من أداة الندبة، كقوله:

فوا كبدي من هجر^١ من لا يجيبي [و من عبرات ما لهنّ فناء]^٢
و الألف الموصولة بالآخر ألف الندبة يؤتي بها لإطالة الصوت، فإنّها مطلوبة في المندوب.

و الأسف: الحزن و هو تألم الباطن بما مضى و فات مطلقا سواء أمكن تداركه أم لا و له على ما ذكره بعض العارفين ثلاث درجات:

الأولى: أسف العامة و هو الحزن على التقصير في الطاعة و الوقوع في مهلكة المعصية و البعد عن باب الحق - جلّ سبحانه - و على ضياع الأيام بالمخالفة و اختيار البطالة على الطاعة.

الثانية: أسف أهل الإرادة و هو الحزن على تعلّق القلب بالخلايق و عدم جمعيّته بالحضور مع الخالق و على اشتغال النفس بالحياة الدنيا و ملاحيقها عن مقام الحضور، كما قال: ﴿وَإِذَا زَأُوا تَجَاوَزَهُ أَوْ لَهَوْا انْفَضُّوا إِلَيْهَا [و تَرَكُوهُ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَ مَنَ اتِّجَارَةٍ وَ اللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ]﴾^٣.

الثالثة: حزن الخاصة و هو التحزّن على ما عرضهم في وقت البسط و النشاط من إنشاء الأسرار و على اعتراضات الأحكام و هي أن يخطر لهم خواطر الاختيار على ما اختاره الله لهم، فيتحرّضوا لذلك على أنّهم لم يتركوا الاختيار مع اختيار الحق حيث قصدوا طريقاً يسلكونه في الله باختيارهم فاختر الله لهم طريقاً آخر يعلم أنّه أولى بهم و أليق.

١- في المصدر: «حب».

٢- تاريخ الإسلام، ج ٦، ص ٣١٢.

٣- سورة الجمعة، الآية ١١.

وقيل: ليس للخاصة حزن لقوله: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^١ وذلك لأنَّ الحزن إنَّما يكون مع التفرقة و الفقدان و هم أهل الجمعية و الوجدان، فلا يحزنون على أنفسهم بل قد يحزنون على غيرهم، كحزن رسول الله ﷺ على أمته في قوله: ﴿فَلَقَدْ بَايَعْتُكَ عَلَى أَنْ تَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾^٢ و جاء في الحديث أَنَّ كُلَّ مَنْ سِوَاهُ ﷺ يقول يوم القيامة: نفسي نفسي و هو يقول ﷺ: أمتي أمتي.^٣ انتهى محصل كلامه.

و الخجلة: التحير و الدهش من الاستحياء.

قوله [عليه السلام]: مِنْ خِجَلَتِي

أي: بما ضاع مني جوهره العقل بمتابعة هوى عدوه.

و الفضيحة: كشف العيب و هتك الستر.

قوله [عليه السلام]: وَافْتِضَاحِي

أي: بذنوب هتكت أستاري و كشفت عن عيوبي لدى خلقك أو افتضاحي لدى باب

علمك، فإنَّك لأنت مولاي ترى عملي و تعلم سوء فعلي، فيا بنس عبد اجترء على معصية مولاه و هو يراه.

و التلهف: التحير.

قوله [عليه السلام]: سُوءٌ فَعَلِي^٤

أي: معصيتي إياك و مخالفتي لأمرك.

قوله [عليه السلام]: وَاجْتِرَاحِي

أي: اكتسابي للذنوب و اقترافي للجرم.

١- سورة يونس، الآية ٦٢. ٢- سورة الكهف، الآية ٦.

٣- الكافي، ج ١٥، ص ٣١٢، حديث الفقهاء، ح ٤٨٦.

٤- في الصحيفة السجادية، ص ٤٠١، الدعاء ١٨٢؛ بحار الأنوار، ج ٩١، ص ١٤٢، الباب الثاني و الثلاثون، مناجاة التائبين: «سوء عملي».

و الذنب الكبير: هو معصية الخالق إذ هي كلّها كبيرة؛ كيف و هو السلطان الرقيب لا يعزب عنه شيء، فمعصيته تعالى هو التهوين على سلطانيته و هو من أكبر الكبائر، و عليه الحديث أيضاً^١.

و يحتمل أن يكون المراد به هو الوجود الموهومي الحدوثي، فإنّه ذنب عظيم لدى الحق؛ كيف و المخلصون يجهدون في الفناء في قاموس هويته و إن ذلك إلّا لعدّهم ذلك الوجود ذنباً و هنا تفاصيل تطلب من أهلها.

و المراد بالعظم الكبير: هو العقل المكدر بالمعاصي.

قوله [عَلَيْهِ]: أَنْ تَهَبَ

أي: تغفر لي و لا تؤاخذني.

و الموبقات: المهلكات.

و الجرائر: جمع الجريمة و هي الجناية سميت بها لأنّها تجر العقوبة إلى الجاني كذا قيل. و فاضحات السرائر: هي المعاصي الخفية في القلب من النيات الفاسدة و العقائد الكاسدة.

و مشهد القيمة: محضرها الذي يجرد فيه كلّ أحد من المكلفين.

و البرد: ضدّ الحرّ و يسمّى ما ينزل من السحاب شبه الحصى برداً لأنّه يبرد وجه الأرض، كذا قيل.

و أضاف البرد إلى العفو لأنّ العفو يبرد القلوب و يصفّيها و يعصمها عن حرّ النار و ضدّه حرّ السخط.

و يحتمل أن يكون المراد بالقيمة هو ابتداء ظهور كامل في أيّ عصر كان، فإنّه يجرد فيه كلّ من مضى برجوع حالاتهم من الشقاوة و السعادة و هنا تفاصيل قد أشرنا إلى بعضها في بعض الرسائل.

١- وسائل الشيعة، ج ١٥، ص ٣١٢، باب وجوب اجتناب المحقرات من الذنوب، ح ١٣ و فيه، «من كلامه عليه السلام: لا تنظروا إلى صغير الذنب و لكن انظروا إلى ما اجتريتم».

فالمراد ببرد العفو، هو الهداية المسببة للعفو، فليتنامل.

قوله [عَلَيْهِ]: وَلَا تُعْرِئِي

إفعال من عرى الرجل، إذا تجرد من الثوب فهو عريان.

قوله [عَلَيْهِ]: وَلَا تُخْلِيَنِي

إفعال من خلى يخلو أي: ولا تحشرنى يوم القيمة عرياناً من ثوب ستارتك للعيوب

ولا تجعلني فيه خالياً عن جميل عفوك عن الذنوب، فإنك لأنت الله الفرد الستار.

قال [عَلَيْهِ]: إِلَهِي ظَلِلْ عَلَى ذُنُوبِي غَمَامَ رَحْمَتِكَ [وَأُرْسِلْ عَلَى عُيُوبِي سَحَابَ رَأْفَتِكَ

إِلَهِي هَلْ يَرْجِعُ الْعَبْدُ الْآبِقُ إِلَّا إِلَى مَوْلَاهُ، أَمْ هَلْ يُجْبِرُهُ مِنْ سَخَطِهِ أَحَدٌ سِوَاهُ، إِلَهِي إِنْ كَانَ

النَّدَمُ عَلَى الذَّنْبِ تَوْبَةً، فَأَنِي وَعِزَّتِكَ مِنَ النَّادِمِينَ، وَإِنْ كَانَ الْأَسْتِغْفَارُ مِنَ الْخَطِيئَةِ حِطَّةً،

فَأَنِّي لَكَ مِنَ الْمُسْتَغْفِرِينَ، لَكَ الْعُثْبَى حَتَّى تَرْضَى، إِلَهِي بِقُدْرَتِكَ عَلَيَّ تُبْ عَلَيَّ، وَبِحِلْمِكَ

عَنِّي اغْفُ عَنِّي] وَبِعِلْمِكَ بِي اذْفُقْ بِي

عاد [عَلَيْهِ] بذكر اسم المحبوب تلذذاً و تبركاً، فإنَّ العاشقين يتلذذون و يتبركون باسم

المعشوق فلذا يحبون تكراره.

قوله [عَلَيْهِ]: ظَلِلْ [عَلَى ذُنُوبِي غَمَامَ رَحْمَتِكَ]

أي: اجعل عليها ظلاً من غمام رحمتك بأن لا تكشف عنها بل تسترها و تغفرها.

قوله [عَلَيْهِ]: سَحَابَ رَأْفَتِكَ

أي: ستارتك و غفارتك و في الفقرتين استعارة.

قوله [عَلَيْهِ]: [إِلَهِي] هَلْ يَرْجِعُ [الْعَبْدُ الْآبِقُ إِلَّا إِلَى مَوْلَاهُ]

الاستفهام يتضمن الإنكار، أي: ليس للعبد الدليل مرجع إلا إلى مولاه الجليل، لأنه

لا يقدر على أن يفر من مملكته و يخرج عن بلاد سلطنته.

و الآبِقُ: الهارب و المراد العاصي.

قوله [عَلَيْهِ]: هَلْ يُجْبِرُهُ [مِنْ سَخَطِهِ أَحَدٌ سِوَاهُ]

أي: لا ينقذه من سخط المولى و غضبه أحد سوى المولى؛ كيف و لا راداً لأمره و لا مانع

من حكمه.

قوله [عليه السلام]: إِنْ كَانَ النَّدَمُ عَلَى الذَّنْبِ تَوْبَةً فَإِنِّي وَعِزَّتِكَ مِنَ النَّادِمِينَ [

أي: الحزن والأسف، قيل: الندم ضرب من الغم وهو أن يَغْتَمَ على ما وقع منه يتمنى إن لم تقع إلى آخره^١.

وفيه إشارة إلى كفاية الندم في تحقق التوبة وقد وردت على ذلك الأخبار^٢ أيضاً. والجِطُّ: الإلقاء، يقال: حَطَّ عَنَّا وزرنا، أي: ألقه وافرغنا عن حملة.

[لَكَ] الْغُثْبَى [حَتَّى تَرْضَى]

الغُثْبَى: كالحسنى، المؤاخذه والمعاتبة.

قوله [عليه السلام]: لَكَ الْغُثْبَى

أي: أنت الحقيق بأن تؤاخذني وتعاتبني فَإِنَّكَ لَأَنْتَ المولى تعاتب عبدك بما تشاء و تؤاخذ رقبك بما تشاء، لا يقدر أحد على منع مؤاخذتك ودفع معاتبتك، فعاتبني يا رب حتى ترضى فَإِنِّي لأَحَبُّ إِلَا رضاك فَإِنْ أَثْبَتْنِي بثوابك فالمحبوب هو الثواب وإن عَذَّبْتَنِي بعقابك فالمحبوب هو العقاب؛ كيف والعاشق يصبر على كل ما يقدم إليه المعشوق، فلا يجزع على ما يتحمل منه فعذبكم عذب وسخطكم رضى.

قوله [عليه السلام]: تُبِّ عَلَى

أي: أقبل توبتي وارجع إلى رحمتك عَلَيَّ كما رجعت عن مخالفتك.

قوله [عليه السلام]: اغْفُ عَنِّي

أي: تجاوز عن سيئاتي.

قوله [عليه السلام]: وَبِعِلْمِكَ إِرْفَقْ بِي

أي: إرحم علي بما تعلم مصلحته وافعل بي ما فيه مصلحتي، أو أنت تعلم عدم استطاعتي لاحتمال نقماتك فارقق بي فَإِنَّكَ لَأَنْتَ الرحمن الرحيم.

١- الكشف، ج ٣، ص ٥٦٠، مع اختلاف يسير.

٢- الكافي، ج ٢، ص ٤٢٦، باب الاعتراف بالذنوب و الندم عليها، ح ١.

قال ﷺ: إلهي أنت الذي فتحت لِعِبَادِكَ [باباً إلى عَفْوِكَ سَمَّيْتُهُ التَّوْبَةَ، فَقُلْتُ: ﴿تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً﴾^١، فما عُدُّ مَنْ أَغْفَلَ دُخُولَ الْبَابِ بَعْدَ فَتْحِهِ] فَلْيُحْسِنِ الْعَفْوَ مِنْ عِنْدِكَ

أراد بيان كمال إحسانه تعالى إلى عباده العاصين.

فقال ﷺ: أَنْتَ الَّذِي

أي: حتمت على نفسك أن تغفر و تعفو عَمَّنْ عصاك إذا تاب من معصيته و رجع منها إلى الطاعة و ذلك من كمال رأفتك بعبادك.

و فيه إشارة إلى أَنَّ الذنوب مغفورة بالتوبة الصحيحة البتة.

و قد دلَّت بعض الأخبار على أَنَّ الذنوب لو كانت بعدد رمل القفار و موج البحار، يغفرها الله عند التوبة و الاستغفار.^٢

فسبحان من لم يصف مقام حنانيته شيء و لم يعرف مراتب عطايته شيء.

قوله ﷺ: [باباً إلى عَفْوِكَ] سَمَّيْتُهُ التَّوْبَةَ فَقُلْتُ: ﴿تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً﴾، فَمَا عُدُّ مَنْ أَغْفَلَ دُخُولَ الْبَابِ بَعْدَ فَتْحِهِ]

أي: وسيلة إلى غفرانك.

و التوبة النصوح: هو ما لا عَوْدَ فيه، على ما دلَّت عليه عدَّة من الأخبار.^٣

و العذر: مانع.

و الغفلة: ضدَّ التنبيه. أي: فنعم الرب أنت، حيث فتحت لنا أبواب خيرك و بسئ العبيد نحن، حيث أعرضنا عن دخول بابك الذي لا يؤتى إليك إلَّا منه، فما أحسن رأفتك و ما أغفلنا عن الفوز برحمتك، و باب رحمتك لمن أتاك مفتوحة و جناب نعمتك لمن دعاك منجوحة.

١- سورة التحريم، الآية ٨.

٢- أنظر بحار الأنوار، ج ٧٣، ص ٢٠٤، الباب الرابع و الأربعون، حديث ٢٢.

٣- الكافي، ج ٢، ص ٤٣٢، باب التوبة، ح ٤.

قوله [عَلَيْهِ]: [إِلَهِي إِنْ كَانَ] قَبِحَ الذَّنْبُ مِنْ عَبْدِكَ [فَلْيُحْسِنِ الْعَفْوُ مِنْ عِنْدِكَ]

أي: هو عبد لا يسعه إلا طاعتك فقببح جرئته على معصيتك.

قوله [عَلَيْهِ]: [فَلْيُحْسِنِ الْعَفْوُ مِنْ عِنْدِكَ]

أي: لأنك أنت المولى المتعود بالإحسان إلى المسيئين والغفران من ذنوب العاصين، لا

إله إلا أنت، الكريم العطوف.

قال [عَلَيْهِ]: [إِلَهِي مَا أَنَا بِأَوَّلِ مَنْ عَصَاكَ] قُتِبَتْ عَلَيْهِ، وَتَعَرَّضَ لِمَعْرُوفِكَ فَجُدْتَ عَلَيْهِ،

يَا مُجِيبَ الْمُضْطَرِّ، يَا كَاشِفَ الضُّرِّ، يَا عَظِيمَ الْبِرِّ، يَا عَلِيماً بِمَا فِي السِّرِّ، يَا جَمِيلَ السَّيْرِ،

اسْتَشْفَعْتُ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ إِلَيْكَ، وَتَوَسَّلْتُ بِجَنَابِكَ وَتَرَحُّمِكَ لَدَيْكَ، فَاسْتَجَبْتُ دُعَائِي،

وَلَا تُخَيِّبْ فِيكَ رَجَائِي، وَتَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَكَفِّرْ خَطِيئَتِي بِمَنِّكَ وَرَحْمَتِكَ [يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ].

أخذ [عَلَيْهِ] في بيان بعض إحسانه وإنعامه إلحاحاً منه في الاستغفار حتى يغفر له و يصفح

عن ذنبه، فإنه تعالى يحب المعترف بذنبه والمقرّ بنعمته تعالى كما عليه الحديث.^١

قوله [عَلَيْهِ]: [مَا أَنَا بِأَوَّلِ مَنْ عَصَاكَ قُتِبَتْ عَلَيْهِ]

أي: قد كان من عادة عبيدك أن عصوك لرجائهم برحمتك و قد كان من عادتك أن

غفرت لذنوبهم لكمال عطوفتك و تمام رأفتك، فلست أنا أول من خالفك و اجتراء عليك

في معصيتك، فغفرت له بل أنت المولى الجليل الذي من عادتك الإحسان إلى المسيئين

و التوبة على العاصين، حيث عصاك عبادك من قبلي فغفرت لهم بحسن عطوفتك.

قوله [عَلَيْهِ]: [وَتَعَرَّضَ لِمَعْرُوفِكَ فَجُدْتَ عَلَيْهِ]

أي: لست أنا أول من طلب إحسانك و ابتغى رضوانك فأقبلت عليه بوجه الجود

و الإنعام، بل قد كان قبلي جميع عبادك قد ابتغوا مرضاتك بالاستغفار، فجُدْتَ عليهم

بالغفران؛ كيف و ليس للمضطرين الذين لا لهم سبيل إلى منجى و ملجأ^٢ إلا أنت، فأنت

مجيبهم إذا دعوك و المقبل عليهم إذا قرعوا بابك و اعتصموا بجَنَابِكَ.

١- الكافي، ج ٢، ص ٤٢٧، باب الاعتراف بالذنوب و الندم عليها، ح ٦.

٢- في مخطوطة: «ملجى و ملجأ»؛ و لعل الصحيح ما أدرجناه.

و أنت الذي يكشف السوء عن خلقك و تدفع الشر عن عبادك، فسبحانك سبحانك ما أعظم برك وإحسانك إلى خلقك، فسبحانك لا يخفى عليك شيء و لا يعزب عنك ستر، بل الأسرار كلها لديك مكشوفة و الأستار لدى جنابك مهتوكة، لا إله إلا أنت تستر على عبادك عيوبهم، فلا تخفى عليك، فأنت الستار الكريم، فما أجمل سترك و ما أرفع سترك.
 قوله [عَلَيْهِ]: اسْتَشْفَعْتُ بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ إِلَيْكَ

أي: قد أقبلت إليك بوجه التوحيد، بحيث لم أر لأحد أن يشفع لي لديك، بل عرفت أنك أنت الذي تستحق أن أجعلك شافعاً إلى جودك وكرمك؛ كيف و الخلق مثلي، خلق محتاجون، خائفون عن نقماتك؛ فكيف يستطيعون أن يشفعوا لي لديك؛ فأنت شفيعي يا إلهي إلى غفرانك.

قوله [عَلَيْهِ]: وَتَوَسَّلْتُ

أي: و جعلت جناب غفارتك ورحمانيتك وسيلة إلى الفوز بحضرتك.

قوله [عَلَيْهِ]: بِجَنَابِكَ

متعلق بقوله بعد ذلك: «فاستجب».

قوله [عَلَيْهِ]: وَلَا تُخَيِّبْ [فِيكَ رَجَائِي]

أي: و لا تكذب في رحمتك رجائي و لا تجعلني محروماً عن رحمتك.

قوله [عَلَيْهِ]: وَتَقَبَّلْ تَوْبَتِي

أي: و وفقني لمراعاة شرائط التوبة حتى تقبلها مني.

قوله [عَلَيْهِ]: وَكَفِّرْ [خَطِيئَتِي بِمَنِّكَ وَرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ]

أي: أسترها و اجعلها مغفورة.

قوله [عَلَيْهِ]: يَا رَبَّ [الْعَالَمِينَ]

أي: يا من تربى كل شيء بما هو مصلحته و بما يقتضيه استعدادده و قابليته؛ كيف و أنت الله العالم بكل شيء لا إله إلا أنت العزيز الحكيم.

المناجاة الثانية: تسمى بمناجاة الشاكرين

قال عليه السلام: إِلَهِي إِلَيْكَ أَشْكُو نَفْسًا بِالسَّوِّءِ أَمَّارَةً، [وَأِلَى الْخَطِيئَةِ مُبَادِرَةً، وَبِمَغَاصِيكَ مُوَلِّعَةً، وَبِلسَخِطِكَ مُتَعَرِّضَةً، تَسْلُكُ بِي مَسَالِكَ الْمَهَالِكِ، وَتَجْعَلُنِي عِنْدَكَ أَهْوَنَ هَالِكٍ، كَثِيرَةَ الْعِلَلِ، طَوِيلَةَ الْأَمَلِ، إِنْ مَسَّهَا الشَّرُّ تَجَزَّعُ، وَإِنْ مَسَّهَا الْخَيْرُ تَمْنَعُ، مِثَالُهُ إِلَى اللَّعِبِ وَاللَّهْوِ، مَمْلُوءَةً بِالْغَفْلَةِ وَالسَّهْوِ، تُسْرِعُ بِي إِلَى الْحَوْبَةِ]، وَتُسَوِّفُنِي بِالتَّوْبَةِ.

لقد أقبل على بساط الحق بوجه الشكاية عن نفسه معترفاً بشرها و سوءها مقرأً بلهوها ولعبها وقد تضمن إقباله هذا الطلب التوبة والغفران عن مقترقاتها والعصمة من مهالكها.

فقال عليه السلام: إِلَهِي إِلَيْكَ أَشْكُو [نَفْسًا بِالسَّوِّءِ أَمَّارَةً]

أي: أظهر لديك شكواي من نفسي التي لا تزال تأمرني بالسوء من فضايح الأعمال وقبايح الأفعال ولا تندم على ما اقترفته^١ ولا تحزن على ما اجترحته لكمال بعدها عن جنابك و حرمانها عن فيض بابك، فالنفس الأمارة هي التي تأمر بالسوء ولا تنتهي عنه ولا تندم عليه؛ ونقيضها المطمئنة وهي خاصة بالصالحين من عباده وهنا نفسان أخريان.

أحديهما: اللوامة.

و ثانيهما: الملهمة وقد فصلنا القول في تلك الأقسام في بعض الرسائل.

و المبادرة: المسارعة.

و الولوع: الحرص.

و التعرض للشيء: التقدم إليه، أي تأمر بأمر تستحق تابعه سخطك و غضبك.

قوله عليه السلام: تَسْلُكُ بِي

أي: تصدني عن مسالك الهداية إلى مسالك الغواية.

قوله [عليه السلام]: أَهْوَنَ هَالِكٍ

أي: هالكاً لا تبالي لهلاكه لخذلانك إياه بالمعصية.

قوله [عليه السلام]: كَثِيرَةَ الْعِلَلِ

حال من المستتر في «تسلك»، فتأمل.

و الأظهر كونه صفة لقوله نفساً إذ ليس في الإضافة اللفظية كسب فليتأمل، أي: نفساً

كثرت عيوبها و عللها المترتبة على بُعدها عن حضرتك.

و الجزع: ضد الصبر.

و الميالة: مبالغة من الميل و هو الشهوة.

و اللعب: ما لا ترتب عليه نفع و المراد به هنا هو عمل لا يترتب عليه قرب الحق

و رضوانه.

و اللهو: الغفلة و الاشتغال بالباطل عن الحق و المراد به هنا ما يلهيك عن ذكر الله من

المال و الولد و نحوهما.

و المراد بالسهو هنا هو نسيانها لعالمه الروحاني الأولي الذي كان مشرفاً فيه بالقرب

السبحاني.

قوله [عليه السلام]: تُسْرِعُ [بِي إِلَى الْحَوْبَةِ]

أي: تحملني على المسارعة إلى ما لاترضى.

و الحوبة بالفتح: مصدر، حاب الرجل إذا اكتسب الإثم فهي الإثم و الخطيئة.

قوله [عليه السلام]: وَ تَسْوِفُنِي^١ [بِالتَّوْبَةِ]

أي: تأمرني بالتسويف و تأخير التوبة عن وقت إلى وقت من وقت الأمر إذا جعل له

الوقت.

قال [عليه السلام]: إِلَهِي إِلَيْكَ أَشْكُو عَدُوًّا يُضِلُّنِي [و شَيْطَانًا يُغْوِينِي قَدْ مَلَأَ بِالْوَسْوَاسِ صَدْرِي

وَ أَخَاطَتْ هَوَاجِسُهُ بِقَلْبِي، يُغَاضِدُ لِي الْهَوَى، وَيُرِّينُ لِي حُبَّ الدُّنْيَا] وَ يَحُولُ بَيْنِي وَ بَيْنَ الطَّاعَةِ وَ الزُّلْفَى.

لَمَّا أَقْبَلَ عَلَيْهِ بوجه الشكاية عن الشيطان النفسي أراد أن يوجه إليه بالشكاية^١ عن الشيطان الجَنِّي؛ و يحتمل أن يكون مراده عليه السلام الشكاية عن النفس فإنّها هي الشيطانة الحقيقية، بل ليس سواها شيطان عند جماعة من محققي القوم فالفصل إنّما هو لمراعاة استعدادات الأفهام و ستر السرّ عن العوام.

قوله عليه السلام: عَدُوًّا يُضِلُّنِي

أي: من لا يريد صاحبي بل يريد فساد حالي و قد نطق القرآن بكون الشيطان عدوًّا للإنسان كما قال: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^٢ و يحتمل أن يكون المراد بالعدوِّ إنساناً ضالًّا يصدّ الخلق عن سبيل الهداية و يضلّ الناس بغير علم.

و الإغواء: الإضلال و هو الإمالة عن الحق إلى الباطل.

و الوسواس: ما لا خير فيه و المراد به هنا هو محبة الغير و التعلق إلى ما سوى الحق. و الهواجس: الخواطر و هي ما يخطر بالقلب، و المراد بها هنا هو ذكر غير الحق و التعلق بما سواه.

قوله عليه السلام: يُغَاضِدُ [لِي الْهَوَى]

أي: يحملني على اتباع هوى النفس و ميلها.

قوله عليه السلام: وَ يُرِّينُ لِي [حُبَّ الدُّنْيَا]

أي: يعظّمه في عيني.

قوله عليه السلام: يَحُولُ [بَيْنِي وَ بَيْنَ الطَّاعَةِ وَ الزُّلْفَى]

١- في الصحاح، ج ٦، ص ٢٣٩٤: مادة: «شكا»: شكوت فلانا أشكوه شكوى و شكاية و شكية و شكاة، إذا أخبرته عنه بسوء فعله بك.
٢- سورة يس، الآية ٦٠.

أي: يمني عن الطروق إلى جنبك و يحرمني عن الفوز ببابك.

وَالزُّلْفَى: كالحسنى، القرب، وفيه إشارة إلى أَنَّ إطاعة النفس يبعد الرجل عن مقام القرب و تعميه عن مشاهدة أنوار الجذب كما أَنَّ إطاعة العقل يقربه إلى بساط الحق و يبصره أنوار تجلياته.

قال عليه السلام: إِيْهِكَ أَشْكُو قَلْبًا [فَاسِيًا] مَعَ الْوَسْوَاسِ مُتَقَلِّبًا [وَبِالزَّيْنِ وَالطَّبْعِ مُتَلَبِّسًا، وَ عَيْنًا عَنِ الْبُكَاءِ مِنْ خَوْفِكَ جَامِدَةً وَ إِلَى مَا تُسْرِهَا] طَامِحَةً. أقبل بالشكاية أيضاً فإنها متضمنة للاستغفار و الاستعصام. قوله عليه السلام: مُتَقَلِّبًا^١

أي: منكوساً كما ينكس قلوب أهل المعصية بالمعصية كما قال: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا^٢ أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾^٣ أي: أمالها وأنكسها. و الرين: الحجاب الكثيف. و الطبع و الختم بمعنى واحد.

و القلب المنكوس هو قلب المشرك و المطبوع هو قلب المنافق و عليه الحديث.^٤ و لا يخفى أَنَّ القلب إِنَّمَا يختتم عليه بعد عرض الهداية عليه و إعراضه عنها، فحينئذ يطبع عليه، فلا يسلك صاحبه إلى الخير أبداً و هنا تفاصيل كثيرة قد أشرنا إليها في بعض الرسائل.

قوله عليه السلام: مِنْ خَوْفِكَ

متعلق بالبكاء، أي لا تبكي على نفسه بكاء الخوف من عقابك و لا الشوق إلى ثوابك بل تطمح أي ترفع إلى ما يضرها من متاع الدنيا و زخرفها.

١- في المخطوطة: «متقلبا».

٢- في المخطوطة: «أزاعوا».

٣- سورة الصف، الآية ٥.

٤- الكافي، ج ٢، ص ٤٢٢ - ٤٢٣، باب في ظلمة قلب المنافق...، ح ٢.

قال عليه السلام: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِقُدْرَتِكَ [وَلَا نَجَاةَ لِي مِنْ مَكَارِهِ الدُّنْيَا إِلَّا بِعِصْمَتِكَ فَأَسْأَلُكَ بِبَلَاغَةِ حِكْمَتِكَ وَنَفَازِ مَشِيَّتِكَ أَنْ لَا تَجْعَلَنِي لِغَيْرِ جُودِكَ مُتَعَرِّضًا، وَلَا تُصَيِّرَنِي لِلْفِتَنِ غَرَضًا وَكُنْ لِي عَلَى الْأَعْدَاءِ نَاصِرًا وَعَلَى الْمَخَازِي وَالْغُيُوبِ سَاتِرًا وَمِنَ الْبَلَايَا وَاقِيًا وَعَنِ الْمُغَاصِي غَاصِمًا بِرَأْفَتِكَ] وَرَحْمَتِكَ^١ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

لَمَّا شَكِيَ عَنِ الْقَلْبِ الْمَطْبُوعِ وَ عَدَمِ الشَّوْقِ إِلَى الطَّاعَةِ وَ الْمِيلِ إِلَى الْمَعْصِيَةِ طَلَبَ التَّوْفِيقَ مِنْهُ عَلَى الطَّاعَاتِ وَ تَرَكَ السَّيِّئَاتِ مُعْتَرِفًا بِأَنَّ ذَلِكَ بِيَدِهِ تَعَالَى.

فَقَالَ عليه السلام: لَا حَوْلَ

أي: لَا حَائِلَ بَيْنِي وَ بَيْنَ الْمَعْصِيَةِ إِلَّا أَرَادَتْكَ وَ لَا حَائِلَ لِي عَلَى الطَّاعَةِ إِلَّا مَشِيَّتَكَ فَالْكُلُّ مِنْ عِنْدِكَ، فَوَقَّفَنِي عَلَى طَاعَتِكَ وَ اعْصَمَنِي عَنْ مَعْصِيَتِكَ.

قَوْلُهُ عليه السلام: [وَلَا نَجَاةَ لِي مِنْ مَكَارِهِ الدُّنْيَا إِلَّا بِعِصْمَتِكَ]

أي: لَيْسَ لِي مَا اعْتَصَمَ بِهِ مِنْ شُرُورِ الدُّنْيَا وَ مَهَالِكِهَا وَ مَا يَتَرْتَبُ عَلَيْهَا مِنَ الضَّلَالَةِ وَ الْغَوَايَةِ إِلَّا عِصْمَتُكَ وَ حِيلَ حِفْظِكَ فَبِحَبْلِ عِصْمَتِكَ أَتَّقِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ.

قَوْلُهُ عليه السلام: [بِلَاغَةِ^٢ حِكْمَتِكَ وَ نَفَازِ مَشِيَّتِكَ]

أي: بِحِكْمَتِكَ الْبَالِغَةِ وَ الْمَرَادُ بِهَا عِلْمُهُ بِمُصَالِحِ كُلِّ شَيْءٍ وَ الْمَعَامَلَةِ مَعَ كُلِّ شَيْءٍ بِمَا فِيهِ مَصْلَحَتُهُ عَلَى الْوَجْهِ الْأَتَمِّ الَّذِي يَعْلَمُهُ.

قَوْلُهُ عليه السلام: [وَنَفَازِ مَشِيَّتِكَ]

أي: بِمَشِيَّتِكَ النَّافِذَةِ الْمَاضِيَةِ وَ الْمَرَادُ بِهَا إِرَادَتُهُ الَّتِي قَهَرَ بِهَا كُلَّ شَيْءٍ فَلَمْ يَسْتَطِعْ شَيْءٌ أَنْ يَخْرُجَ عَنْ تَحْتِ إِرَادَتِهِ وَ مَشِيَّتِهِ فَالْكُلُّ مَقْهُورٌ تَحْتَ قُدْرَتِهِ.

قَوْلُهُ عليه السلام: [لَا تَجْعَلَنِي لِغَيْرِ جُودِكَ مُتَعَرِّضًا]

أي: لَا تَخْذُلْنِي حَتَّى أَسْلُكَ فِي مَسَالِكِ الْغَوَايَةِ فَأَحْرَمَ عَنْ فَيْضِكَ الَّذِي يَفُوزُ الصَّافُونَ الْعَارِفُونَ وَ اجْعَلْنِي سَالِكًا فِي مَسْلِكِ الْهَدَايَةِ حَتَّى أَفُوزَ بِفَيْضِ مَلَاطِفِكَ.

١- في المخطوطة: «برحمتك».

٢- في المخطوطة: «ببلاغ».

قوله [إِيَّاكَ]: وَلَا تُصَيِّرْنِي [لِلْفِتَنِ غَرَضاً]

أي: واحفظني عن جميع الفتن الدنيوية والأخرائية و لا تجعلني مغموماً بالفتن و البلايا.

و الغرض بالمعجمتين: الهدف الذي يرمي إليه.

قوله [إِيَّاكَ]: وَكُنْ لِي [عَلَى الْأَعْدَاءِ نَاصِراً]

أي: أيدني بنصرك الذي وعدته للمؤمنين بك حتى لا يقدر أعدائي من الجاحدين لربوبيتك والمنكر لأمر رسالتك على إقامة الحجج والبراهين على مدّعاهم بل أيدني لأن أرفع حججهم بما علمتني من البراهين و الدلائل.

و المخازي: جمع الخزي وهو الفضيحة و الهلاكة.

و الواقى: الحافظ من وقاه الله الشر إذا حفظه عنه.

و العاصم: الحافظ الواقى.

المناجاة الثالثة يسمى بمناجاة الخائفين

قال عليه السلام: إلهي أترأك بعد الإيمان بك تُعَذِّبُنِي [أَمْ بَعْدَ حَبِي إِثَّاكَ تُبْعِدُنِي، أَمْ مَعَ رَجَائِي لِرَحْمَتِكَ وَصَفْحِكَ تَحْرُمُنِي، أَمْ مَعَ اسْتِجَارَتِي بِعَفْوِكَ تُسَلِّمُنِي، خَاشَا لَوْجْهِكَ الْكَرِيمِ، أَنْ تُخَيِّبَنِي، لَيْتَ شِعْرِي أَلِلْشَّقَاءَ وَلَدَتْنِي أُمِّي أَمْ لِلْعَنَاءِ رَبَّتْنِي، فَلَيْتَهَا لَمْ تَلِدْنِي وَ لَمْ تُرَبِّنِي، وَ لَيْتَنِي عَلِمْتُ أَمِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ جَعَلْتَنِي وَ بِقُرْبِكَ وَ جِوَارِكَ خَصَصْتَنِي، فَتَقَرَّ بِذَلِكَ عَيْنِي] وَ تَطْمَئِنَّ لَهُ نَفْسِي.

لقد أتى الحق بالإيمان والمحبة والتبذل والرجاء لما عرف من أنه تعالى لا يقطع فيضه عن الذي أتاه بتلك الصفة فاستفهم من الحق تعالى على وجه المجاز إشعاراً بتحقيق المقصد وثبوت ما عرفه من أنه تعالى لا يعذب المؤمنين المحبين.

فقال: أترأك إلى آخره على صيغة المجهول، أي: لست تعذب بنار سخطك من آمن بك حقيقة الإيمان، لمنافاة السخط للإيمان.

وقد ذكرنا في شرح كميل أن لكل عقيدة أثراً^١ يترتب عليها فإن كانت صحيحة يترتب عليها الفوز بمقام القرب وإن كانت فاسدة يترتب عليه الحرمان عن لذة الجذب، فالإيمان لا يترتب عليه إلا القرب، والكفر لا يترتب عليه إلا البعد الذي هو حقيقة النار، كما أن الأول هو حقيقة الجنة، وهنا مباحث لطيفة تطلب من مظانها.

قوله عليه السلام: [أَمْ بَعْدَ حَبِي إِثَّاكَ تُبْعِدُنِي]

أي: ليست من عادتك أن تعذب بنار فراقك وبعْدك من شرفته بحبك وأكرمه بجذبك؛ كيف وحبك حق الحب ترفع الموانع التي تكون بيني وبينك، فتظهر لي أنوار طاعتك.

قوله عليه السلام: [أَمْ مَعَ اسْتِجَارَتِي بِعَفْوِكَ تُسَلِّمُنِي]

أي: لست تترك المستجير بعفوك واللائذ بجنابك على حاله أو تسلّمه إلى نقماتك؛ كيف وأنت المجير للمستجيرين والمعين للمضطرين.

١- في المخطوطة: أنزّ وما أدرجناه هو الصحيح.

قوله [عليه السلام]: أُمِّ مَعَ رَجَائِي [لِرَحْمَتِكَ وَصَفْحِكَ تَحْرُمْنِي]

أي: لست تحرم عن رحمتك من لا يزال يرجوك فيها؛ كيف وقد حتمت على نفسك أن لا تخيب من يرجوك ولا تحرم عن الإجابة من يدعوك.

قوله [عليه السلام]: خَاشَا [لِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ أَنْ تُخَيِّبَنِي]

أي: تقدّس وتنزه ذاتك من أن تحرم عن فيض نعمتك من يرجوك ويحبك.

قوله [عليه السلام]: أَلِلْشَّغَاءِ

أي: ليتني كنت عالماً بأنّ ماهيتي هل فطرت بفطرة الشقاوة والبعد عن الحق.

وَالْعَنَاءِ: التعب والمراد به الإتعاب الروحانية المضرة بالنفس.

قوله [عليه السلام]: [أ] مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ [جَعَلْتَنِي وَبِقُرْبِكَ وَجِوَارِكَ خَصَصْتَنِي]

أي: حكمت عليّ بالسعادة في الأزل وقضيت عليّ ماهيتي بالهداية.

قوله [عليه السلام]: وَبِقُرْبِكَ [وَجِوَارِكَ خَصَصْتَنِي]

أي: وبمقام معرفتك وطاعتك شرفتنني.

فَتَقَرَّرَ بِذَلِكَ [عَيْنِي]

أي: فافرح وابتهج بما حكمت عليّ وقضيت.

وَتَطْمَئِنَّ لَهُ [نَفْسِي]

أي: لذلك نفسي حتى لا تحزن على ما هي عليه من الشقاوة.

قال [عليه السلام]: إِلَهِي هَلْ تُسَوِّدُ وَجُوهًا [خَرَّتْ سَاجِدَةً لِعَظَمَتِكَ، أَوْ تُخْرِسُ أَلْسِنَةً نَطَقَتْ

بِالْثَّنَاءِ عَلَى مَجْدِكَ وَجَلَالِكَ، أَوْ تَطْبَعُ عَلَى قُلُوبٍ أَنْطَوَتْ عَلَى مَحَبَّتِكَ، أَوْ تُصِمُّ أَسْمَاعًا

تَلَدَدَتْ بِسَمَاعِ ذِكْرِكَ فِي إِزَادَتِكَ، أَوْ تَغْلُ أَكْفَارَ قَعْتِهَا أَلَمَالُ إِلَيْكَ رَجَاءَ رَأْفَتِكَ، أَوْ تُعَاقِبُ

أَبْدَانًا عَمِلَتْ بِطَاعَتِكَ حَتَّى نَجَلَتْ فِي مُجَاهَدَتِكَ، أَوْ تُعَذِّبُ أَرْجُلًا سَعَتْ فِي عِبَادَتِكَ

أَكَّدَ مَا أَسْلَفَهُ مِنْ عَدَمِ تَعْذِيبِهِ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُحِبِّينَ بِمَا هُوَ قَرِيبٌ مِنْهُ إِلَاحًا لَهُ

في الدعاء التذاذاً بمخاطبة من هو المتفرد بالعلاء.

فَقَالَ [عليه السلام]: هَلْ تُسَوِّدُ وَجُوهًا [خَرَّتْ سَاجِدَةً لِعَظَمَتِكَ]

أي: لست تسود بسواد المعصية وجوهاً سقطت ساجدة لدى حضرة عظمتك؛ كيف
و بالسجود لك تبيض الوجوه.

قوله [عليه السلام]: «أَوْ تَطْبَعُ [عَلَى قُلُوبٍ انْطَوَتْ عَلَى مَحَبَّتِكَ]»

أي: تحكم بالطبع والرين على قلوب اشتملت على حبك و تنورت بجذبك.

قوله [عليه السلام]: «أَوْ تُصِمُّ»

أي: عن سماع الحان طواويس معرفتك.

قوله [عليه السلام]: «فِي إِزَادَتِكَ»

أي: في حبهام لك و قصدهم لجناحك.

قوله [عليه السلام]: «أَوْ تَغْلُ [أَكْفَارَ فَعْنَتِهَا الْأَمَالُ إِلَيْكَ رَجَاءً رَأَيْتَكَ]»

أي: أ تجعلها مغلولة على عنق صاحبها بعد ما رفعت إلى جناب رحمتك رجاء للفوز
بنعمتك.

قوله [عليه السلام]: «حَتَّى نَحْلُتَ [فِي مُجَاهَدَتِكَ]»

أي: هزلت في طريق المجاهدة التي أمرت صاحبها بها؛ و في النسبة إشارة إلى
الرياضة بغير ما أمر الله و رسوله، لا يرتب عليها السعادة الآخروية، فليتأمل.

قال [عليه السلام]: «إِلَهِي لَا تُغْلِقْ عَلَى مُوَجِّدِكَ أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، [وَلَا تَحْجُبْ مُشْتَاقِيكَ عَنِ
النَّظَرِ إِلَى جَمِيلِ رُؤْيَيْكَ، إِلَهِي نَفْسٌ أَعَزَّتْهَا بِتَوْحِيدِكَ كَيْفَ تَذِلُّهَا بِمَهَانَةِ هِجْرَانِكَ وَ ضَمِيرٌ
أَنْعَقَدَ عَلَى مَوْدَتِكَ كَيْفَ تُحْرِقُهُ] بِحَرَارَةِ نِيرَانِكَ»

أكد النفي فيما أسلفه من عدم معاقبة المخلصين و الموحدين بالمخاطبة الإخبارية
المتضمنة للداء.

فقال [عليه السلام]: «لَا تُغْلِقْ [عَلَى مُوَجِّدِكَ أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ]»

أي: ليس من عادتك أن تسدَّ سبيل رحمتك على من أتاك خالصاً عن غيرك، صافياً عن سواك؛ كيف و بابك مفتوح لمن دعاك مخلصاً ومنجوح لمن أتاك موحداً.

قوله [عليه السلام]: «وَلَا تَحْبُجْ [مُشْتَاكِكَ عَنِ النَّظَرِ إِلَى جَمِيلِ رُؤْيَيْكَ]

أي: وقد جرت عادتك على أن لا تحرم عن أنوار طلعة قدوسيتك من اشتاق إلى ملاحظتها تشوق العاشق إلى المعشوق؛ كيف وقد وعدت طالبك الوصول إلى لذة طلعتك، حيث قلت: «من طلبني وجدني و من وجدني أحبني و من أحبني عشقني»^١ إلى آخره و يحتمل كون الفعلين دعاء فهما مجزومان بـ«لا».

قوله [عليه السلام]: «أَعَزَّزْتُهَا بِتَوْحِيدِكَ

أي: شرفتها بمقام الإخلاص و الخلوص بحيث ما تعلق إلا بحبل رحمتك و ما نظرت إلا إلى جميل طلعتك ففاز بمقام قرب حضرتك.

قوله [عليه السلام]: «بِمَهَانَةِ هِجْرَانِكَ

أي: بمحابة غيرك و مادة سواك فإن الاشتغال بخلقك مله عن الاشتغال بك؛ كيف و لا يجتمع حبك و حب [غيرك]^٢ في قلب واحد، كما لا يجمع الماء و النار في إناء واحد.

قوله [عليه السلام]: «انْعَقَدَ [عَلَى مَوْدَّتِكَ]

أي: استحکم فيك مودته بالتبصير و التحقيق.

قوله [عليه السلام]: «بِخَرَارَةِ نَهْرِ انْكَ

أي: نيران عداوتك و الجرئة عليك.

قال [عليه السلام]: «إِلَهِي أَجْرِنِي مِنْ أَلِيمِ غَضَبِكَ [وَعَظِيمِ سَخَطِكَ، يَا حَتَّانُ يَا مَتَّانُ، يَا رَحِيمُ يَا رَحْمَنُ، يَا جَبَّارُ يَا قَهَّارُ، يَا غَفَّارُ يَا سَّارُ، نَجِّنِي بِرَحْمَتِكَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَ فُضِيحَةِ أَلْغَارِ،

١- لم نثر على الرواية بهذا اللفظ و لكن قريب منه في «نفس الرحمن في فضائل سلمان»، ص ٣٣١، وفيه: «قال الله تعالى: من أحبني عرفني، و من عرفني عشقني، و من عشقني قتلته، و من قتلته فملي دينه، و أنا دينه».

٢- في المخطوطة: «حُبِّكَ وَ حُبِّكَ».

إِذَا امْتَأَزَ الْأَخْيَارُ مِنَ الْأَشْرَارِ وَ خَالَتْ الْأَهْوَالُ وَ هَالَتْ الْأَهْوَالُ وَ قَرَّبَ الْمُحْسِنُونَ وَ بَعْدَ الْمُتَسِئُونَ ﴿وَوَفَيْتُ كُلَّ نَفْسٍ مَا مَكْتَبَتْ﴾، وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ^١.

أقبل إلى الحق بوجه السؤال و الطلب صريحاً بعد ما قدّم بذلك ضمناً.

فقال [عليه السلام]: أَجْزَيْتُ [مِنْ أَلِيمٍ غَضَبِكَ وَ عَظِيمِ سَخَطِكَ]

أي: أعصمني من معصية توجب غضبك و من خطيئة تورث سخطك.

وَ الْحَثَانُ: العَطَافُ مِنْ حَنَّتْ عَلَى الشَّيْءِ، عَطَفْتُ عَلَيْهِ.

وَ الْمَتَانُ: الْمِنْعَامُ.

وَ الْجَبَّارُ: صَاحِبُ الْجَبَرُوتِ وَ السُّلْطَانَةُ.

وَ الْقَهَّارُ: قَاضِي الْمُنْهَيَاتِ بِالْوُجُودِ.

قوله [عليه السلام]: مِنْ عَذَابِ النَّارِ [وَ فَضِيحَةِ الْغَارِ]

أي: من ألم نار الهجران عن بساطك.

وَ الْغَارُ: الْعَيْبُ.

قوله [عليه السلام]: إِذَا امْتَأَزَ [الْأَخْيَارُ مِنَ الْأَشْرَارِ]

أي: عند ظهور الكاملين و قيام أمرهم أو في القيمة كما قال: ﴿وَ امْتَأَزُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا

الْمُجْرِمُونَ﴾^٢.

قوله [عليه السلام]: وَ خَالَتْ الْأَهْوَالُ

أي: و تغيرت الحالات من دهش صاحبها في الخوف من عقابك و قيل: أي: رجع

الحالات الدنياوية من السعادة و الشقاوة إلى حقايقها.

قوله [عليه السلام]: وَ هَالَتْ الْأَهْوَالُ

أي: افترقت المخاوف من حُشر في ذلك اليوم.

قوله [عليه السلام]: وَ قَرَّبَ

١- سورة آل عمران، الآية ٢٥.

٢- سورة يس، الآية ٥٩.

أي: إلى رحمتك و عفوك و إلى مشاهدة نور طلعتك.

قوله [عليه]: وَ بَعْدَ

أي: عن رحمتك و عن ملاحظة طلعة صمدائيتك.

قوله [عليه]: مَا كَسَبْتُ

أي: ما عملته في الدنيا من خير و شر.

و في قوله: ﴿وَهُمْ لَا يُظَلَّمُونَ﴾^١ إشارة إلى أنه تعالى يعامل مع كل نفس بما هو في استعدادها من الشقاوة و السعادة، فإن كانت شقيّةً فحكمها البعد عن الرحمة، لأنّ ذلك هو جزاء الشقاوة، و إن كانت سعيدة، فحكمها القرب إلى بساط الحق لأنّ ذلك هو جزاء السعادة كما قال: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾^٢ إلى آخره؛ و إلى أنّه ما كان جعل الصفتين من فعل الجاعل بل كانتا مكبوتة في الماهيات أزلاً، فتأمل.

١- سورة آل عمران، الآية ٢٥.

٢- سورة الزلزلة، الآية ٧.

المناجاة الرابعة تسمى بمناجاة الراجين

قَالَ (عليه السلام): يَا مَنْ إِذَا سَأَلَهُ عَبْدٌ أَعْطَاهُ، وَإِذَا أَمَلَ مَا عِنْدَهُ بَلَغَهُ مُنَاهُ، وَإِذَا أَقْبَلَ عَلَيْهِ قَرَّبَهُ وَأَذْنَاهُ، وَإِذَا جَاهَرَهُ بِالْعِصْيَانِ سَتَرَ عَلَى ذَنْبِهِ وَغَطَّاهُ وَإِذَا تَوَكَّلَ عَلَيْهِ أَحْسَبَهُ^١ وَكَفَّاهُ
أثنى على الحق بتعداد بعض خصائصه ومراحمه.

فَقَالَ (عليه السلام): يَا مَنْ [إِذَا سَأَلَهُ عَبْدٌ أَعْطَاهُ]

أي: أنت الذي حتمت على نفسك أن تجيب كل من يسئلك بشرايط السؤال؛ فقلت: ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^١ وفيه إشارة إلى وجوب الدعاء عليك و وجوب الإيماء والإجابة عليه، فإنه كريم لا يخلف وعده ولكن لا يتحقق الامضاء بعد الدعاء إلا بعد اشتماله على شرايطه، ويحتمل أن يكون المراد بالسؤال سؤاله بحسب استعدادده و بلسان قابليته و بالإعطاء إعطائه كل ذي حق حقه من الشقاوة و السعادة و غيرهما.

قوله (عليه السلام): وَ إِذَا أَمَلَ [مَا عِنْدَهُ بَلَغَهُ مُنَاهُ]

أي: وإذا رجي ما عند الله من الرضوان بلغه إليه بالتوبة والطاعة.

قوله (عليه السلام): وَ إِذَا أَقْبَلَ [عَلَيْهِ قَرَّبَهُ وَأَذْنَاهُ]

أي: وإذا عزم العبد على أن يقبل على الحق بوجه التوحيد يشرفه بشرايف القرب و يكرمه بكرائم الجذب كما قال: «من تقرب إلى شبراً، تقربت إليه»^٢ إلى آخره.

قوله (عليه السلام): وَ إِذَا جَاهَرَهُ [بِالْعِصْيَانِ سَتَرَ عَلَى ذَنْبِهِ وَ غَطَّاهُ]

أي: وإذا اجتراء على عصيانه لقله حيائه، غفر الله له، ساتراً ذنبه عن الخلق حتى لا يفتضح.

قوله (عليه السلام): وَ إِذَا تَوَكَّلَ [عَلَيْهِ أَحْسَبَهُ وَ كَفَّاهُ]

١- سورة غافر، الآية ٦٠.

٢- الأمامي، للسيد المرتضى، المجلس الثالث و العشرون، ج ٢، ص ٦.

أي: وإذا فوّض جميع أموره إلى الحق عارفاً بأنه كافيه، كفاه كما قال: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾^١ وقال: ﴿أَتَيْتُ اللَّهَ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾^٢ أي: إذا عمل بشرايط العبودية و اعترف بمقام الربوبية.

و عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «أوحى الله إلى داود عليه السلام ما اعتصم بي عبد من عبادي دون أحد من خلقي عرفت ذلك من تتيته، ثم تكيده السموات والأرض ومن فيهن، إلا جعلت له المخرج من بينهن؛ وما اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي عرفت ذلك من تتيته، إلا قطعت أسباب السموات والأرض من يديه وأسخت الأرض من تحته، ولم أبال بأيّ وادٍ يهالك»^٣.

و عن علي بن الحسين عليه السلام قال: «خرجت حتى انتهيت إلى هذا الحائط فاتكأت عليه فإذا رجل عليه ثوبان أبيضان ينظر في تجاه وجهي، ثم قال: يا علي بن الحسين عليه السلام! ما لي أراك كئيباً حزينا؟ أعلى الدنيا؟ فرزق الله حاضر للبرّ والفاجر، قلت: ما على هذا أحزن وإنه لكما تقول قال: فعلى الآخرة؟ فوعد صادق يحكم فيه ملك قاهر، قلت: ما على هذا أحزن وإنه لكما تقول، فقال: ممّ حزنك؟ قلت: ممّا نتخوف من فتنة ابن الزبير وما فيه الناس، قال: فضحك، ثم قال: يا علي بن الحسين عليه السلام! هل رأيت أحداً دعى الله فلم يجبه؟ قلت: لا، قال: فهل رأيت أحداً توكل على الله فلم يكفه؟ قلت: لا، قال: فهل رأيت أحداً سأل الله فلم يعطه؟ قلت: لا، ثم غاب عني»^٤.

قال عليه السلام: إلهي من^٥ الذي نزل بك ملتمساً قرآك [فَمَا قَرَيْتُهُ، وَمَنْ أَلَدِي أَنَاخَ بِسَابِكَ مُرْتَجِياً نَدَاكَ فَمَا أَوْلَيْتُهُ، أَيْخُسُنْ أَنْ أَرْجِعَ عَنْ بَابِكَ بِالْخَيْبَةِ مَصْرُوفاً، وَ لَسْتُ أَعْرِفُ سِوَاكَ مَوْلِيَّ بِالْإِحْسَانِ مَوْصُوفاً، كَيْفَ أَرْجُو غَيْرَكَ وَ أَلْخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدِكَ وَ كَيْفَ أَوْمِلُ سِوَاكَ

١- سورة الطلاق، الآية ٢-٣. ٢- سورة الزمر، الآية ٣٧.

٣- الكافي، ج ٢، ص ٦٣، باب التفويض إلى الله و التوكل عليه، ح ١، مع اختلاف يسير.

٤- نفس المصدر، ص ٦٣-٦٤، ح ٢. ٥- في المخطوطة: «من ذا الذي».

وَالْخَلْقُ وَالْأَمْرُ لَكَ أَفْطَعُ رَجَائِي مِنْكَ وَقَدْ أَوْلَيْتَنِي مَا لَمْ أَسْأَلْهُ مِنْ فَضْلِكَ أَمْ تُفْقِرُنِي إِلَى مِثْلِي]، وَأَنَا أَعْتَصِمُ بِحَبْلِكَ

عاده عليه السلام أيضاً في بيان مرحمته تعالى إلى عباده و عطايته إلى أهل بلاده.

فقال عليه السلام: [مَنِ الَّذِي [نَزَلَ بِكَ مُلْتَمِساً قِرَاكَ فَمَا قَرَيْتَهُ]

أي: قد جرت عادة رحمتك على أن تقرب إلى بساطك و تشرف بقربك من قصد وجهك و نور زيارتك بالصدق.

و الملتمس: الطالب السائل.

و القرى: الضيافة.

قوله عليه السلام: [وَمَنِ الَّذِي

أي: ليس من عادتك أن تحرم عن عطائك و تمنع عن باب هبتك من أقام لدى باب حضرتك مخلصاً لك بتيته و سريره.

و الإناخة: الإبرك.

و الندى: المجلس.

و أولاه عليه السلام: أوليته: أعطاه

قوله عليه السلام: [أَيَحْسَنُ

أي: أترضى يا رب أن لا تأويني في مقام قربك بعد ما تقربت إليك، فأرجع محروماً قانطاً عن رحمتك و أنت السيد الغفور الكريم، و لست أعرف سواك من يرحم الضعيف و يحسن إلى المسئ.

قوله عليه السلام: [وَالْخَيْرُ كُلُّهُ

أي: و أمر كل خير بيدك، تؤتيه إلى من تشاء و تمنعه عن تشاء.

١- لعله إشارة إلى قوله عليه السلام المتقدم في أول المناجات: «أنتى على الحق بتعداد بعض خصايصه و مراحمه».

قوله [عليه السلام]: **الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ [لَكَ]**

أي: أنت مالك كل شيء وأنت السلطان في جميع العوالم وإليك فليرجع العاصون وإياك فليؤمل الراجون.

والمراد بالخلق هو عالم الشهادة وبالأمر هو عالم الغيب.

وقيل: الأول هو عالم الأجسام والثاني هو عالم الأرواح وهنا تفاصيل كثيرة مذكورة في المطولات.

قوله [عليه السلام]: **مَا لَمْ أَسْأَلْهُ [مِنْ فَضْلِكَ]**

أي: من الوجود و توابعه فكيف لا تعطيني ما أسئلك.

قوله [عليه السلام]: **أَمْ تُفْقِرُنِي إِلَى مِثْلِي [وَأَنَا أَعْتَصِمُ بِحَبْلِكَ]**

أي: إلى من هو عبدك أيضاً أحدثته وأبدعته كما أحدثني وأبدئتني.

قال عليه السلام: **يَا مَنْ سَعَدَ بِرَحْمَتِهِ الْفَاصِدُونَ، [وَلَمْ يَشُقَّ بِنِقْمَتِهِ الْمُسْتَغْفِرُونَ، كَيْفَ أَنْسَاكَ وَلَمْ تَزَلْ ذَاكِرِي، وَكَيْفَ أَلْهُو عَنْكَ وَأَنْتَ مُرَاقِبِي، إِلَهِي بِذِلِّ كَرَمِكَ أَعْلَقْتُ يَدَيَّ وَلِئِيلٍ عَطَايَاكَ بَسَطْتُ أَمْلِي، فَأَخْلِصْنِي بِخَالِصَةِ تَوْحِيدِكَ] وَاجْعَلْنِي مِنْ صَفْوَةِ عِبِيدِكَ.**

السعادة بالرحمة هي الفوز بالقرب السبحاني والفيض الرحماني.

و القاصد: من يقصد بساط الحق مخلصاً خالصاً.

و الشقاوة: ضد السعادة، فهي بُعد العبد عن الحق بأحد الوجوه.

و المستغفر: من يرجع إلى طاعة الحق راجياً غفرانه.

قوله [عليه السلام]: **كَيْفَ أَنْسَيْكَ [وَلَمْ تَزَلْ ذَاكِرِي]**

أي: لا ينبغي لي أن أنسي ذكرك وأعرض عن بساط قربك وأنت ذاكري بنعمتك المتواترة علي في جميع الأحيان.

قوله [عليه السلام]: **كَيْفَ أَلْهُو عَنْكَ وَأَنْتَ مُرَاقِبِي**

أي: لا ينبغي لي أن أشغل عنك بغيرك مع علمي بأنك أنت الرقيب علي في جميع الأحوال، ترى أفعالي وتعلم أعمالي.

قوله [عليه السلام]: بِذَلِيلٍ [كَرَمِكَ أَغْلَقْتُ يَدِي]

أي: أتيتك مفوضاً أمري إليك و انقطعت عن غيرك كله و تعلقت بحبل كرمك و عفوك راجياً منك أن تشرّفني بعطاياك و تكرمني بجوائز حنّانيتك.

قوله [عليه السلام]: فَأَخْلَصْنِي [بِخَالِصَةِ تَوْحِيدِكَ]

أي: واجعلني صافياً عن شوائب الشرك و خالصاً عن التعلق بالغير.

قوله [عليه السلام]: مِنْ صَفْوَةٍ [عَبِيدِكَ]

أي: من مختارهم و خيارهم الذين طهرت قلوبهم عن كلّ رجس و صفت أفندتهم عن كلّ قدر.

قال [عليه السلام]: يَا مَنْ كُلُّ هَارِبٍ إِلَيْهِ يَلْتَجِي [وَكُلُّ طَالِبٍ إِتَاهُهُ يَرْتَجِي، يَا خَيْرَ مَرْجُوٍّ وَ يَا أَكْرَمَ مَدْعُوٍّ وَ يَا مَنْ لَا يَرُدُّ سَائِلَهُ وَ لَا يُخَيِّبُ أَمْلُهُ، يَا مَنْ بَابُهُ مَفْتُوحٌ لِذَاعِيهِ وَ حِجَابُهُ مَرْفُوعٌ لِرَاجِيهِ، أَسْأَلُكَ بِكَرَمِكَ أَنْ تَمُنَّ عَلَيَّ مِنْ عَطَائِكَ بِمَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنِي وَ مِنْ رَجَائِكَ بِمَا تَطْمَئِنُّ بِهِ نَفْسِي وَ مِنْ أَلْيَقِينَ بِمَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيَّ مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا وَ تَجْلُو بِهِ عَنْ بَصِيرَتِي غَشَوَاتِ أَلْعَمَى، بِرَحْمَتِكَ] يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

أقبل عليه بالثناء ملخاً في الدعا.

فقال [عليه السلام]: يَا مَنْ كُلُّ [هَارِبٍ إِلَيْهِ يَلْتَجِي]

أي: يا من هو الملجأ لكلّ من لا ملجأ له فإنّه هو السيّد الذي يأوي إليه كلّ شيء و يفرّ إلى بابه كلّ شيء.

قوله [عليه السلام]: يَا مَنْ لَا يَرُدُّ [سَائِلَهُ]

أي: يعطي كلّ من يسئله بلسان الحال أو القال.

قوله [عليه السلام]: يَا مَنْ بَابُهُ [مَفْتُوحٌ لِذَاعِيهِ]

أي: يا من لم يسدّ على من يدعوه خالصاً باب إجابته، بل يجيب لكلّ من دعاه.

قوله [عليه السلام]: وَ حِجَابُهُ [مَرْفُوعٌ لِرَاجِيهِ]

أي: ليس لمن يرجوه بخالص الرجاء حاجب عن حضرته.

قوله [عَلَيْهِ]: بِمَا تَقَرُّ [بِهِ عَيْنِي]

أي: من رأفتك و عطوفتك عليّ.

قوله [عَلَيْهِ]: وَ تَجَلُّوْ [بِهِ عَنْ بَصِيْرَتِي غَشَوَاتِ الْعَمَى بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ]

أي: و تكشف و ترفع عن قلبي حجب العمى عن أنوار طلعتك حتّى أدعوك صافياً و أرجوك معافياً.

المناجاة الخامسة تسمى بمناجاة الراغبين

قال عليه السلام: إلهي إن كان قلّ زادي في المسير إليك، [فَلَقَدْ حَسَنَ ظَنِّي بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْكَ، وَإِنْ كَانَ جُزْمي قَدْ أَخْفَانِي مِنْ عَفْوَتِكَ، فَإِنَّ رَجَائِي قَدْ أَشْعَرَنِي بِالْأَمْنِ مِنْ نِقَمَتِكَ، وَإِنْ كَانَ ذَنْبِي قَدْ عَرَّضَنِي لِعِقَابِكَ فَقَدْ آذَنِي حُسْنُ نِقَتِي بِثَوَابِكَ، وَإِنْ أَنَا مَثْنِي الْغَفْلَةُ عَنِ الْإِسْتِعْذَادِ لِلْقَائِكَ، فَقَدْ نَبَّهْتَنِي الْمَعْرِفَةُ بِكَرَمِكَ وَآلَائِكَ، وَإِنْ أَوْحَشَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ فَرُطُ الْعِصْيَانِ وَالطُّغْيَانِ فَقَدْ آتَسَنِي] بُشْرَى الْغُفْرَانِ وَالرِّضْوَانِ.

أقبل على الحق بحسن ظنه به مشيراً إلى أنه هو الوسيلة للعاصي الذي قلّت طاعته وكثرت معصيته.

فقال عليه السلام: [إِنْ كَانَ قَلًّا

أي: لقد توجهت إليك بوجه الإلحاح متوكلاً عليك متبتلاً إليك معترفاً بأن طاعتي قليلة ومعصيتي كثيرة، ولكن قد حسن بك ظني أنك تغفر لي وتغفو عن خطيئتي، وإن كان ذنبي أكثر من رمل القفار وطاعتي أقل من جناح البعوضة، فتوسّلت إليك بحسن الظن بعفوك.

و عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: لَا يَتَّكِلُ الْعَامِلُونَ لِي^١ عَلَى أَعْمَالِهِمُ الَّتِي يَعْمَلُونَهَا لِثَوَابِي، فَإِنَّهُمْ لَوْ اجْتَهَدُوا وَاتَّبَعُوا أَنْفُسَهُمْ أَعْمَارَهُمْ فِي عِبَادَتِي، كَانُوا مَقْصَرِينَ غَيْرَ بِالْغَيْنِ فِي عِبَادَتِهِمْ كُنْهَ عِبَادَتِي فِيمَا يَطْلُبُونَ عِنْدِي مِنْ كِرَامَتِي وَالنَّعِيمِ فِي جَنَّاتِي وَرَفِيعِ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى فِي جَوَارِي؛ وَلَكِنْ بِرَحْمَتِي فَلْيَتَّقُوا وَفَضْلِي فَلْيَرْجُوا، وَإِلَى حَسَنِ الظَّنِّ بِي فَلْيَطْمَئِنُّوا، فَإِنَّ رَحْمَتِي عِنْدَ ذَلِكَ تَدْرِكُهُمْ وَمَنِّي يَبْلَغُهُمْ رِضْوَانِي وَمَغْفِرَتِي تَلْبَسُهُمْ عَفْوِي، فَإِنِّي أَنَا اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ وَبِذَلِكَ تَسْمِيَتْ^٢.

١- في المصدر: «لي».

٢- الكافي، ج ٢، ص ٧١، باب حسن الظن بالله، ح ١.

و عن أبي عبد الله عليه السلام: «أَيُّمَا عَبْدٍ أَقْبَلَ قَبْلَ مَا يَحِبُّ اللَّهُ أَقْبَلَ اللَّهُ قَبْلَ مَا يَحِبُّ وَ مَنْ اعْتَصَمَ بِاللَّهِ عَصَمَهُ اللَّهُ وَ مَنْ أَقْبَلَ اللَّهَ قَبْلَهُ وَ عَصَمَهُ لَمْ يَبَالِ لَوْ سَقَطَتِ السَّمَاءُ عَلَى الْأَرْضِ أَوْ كَانَتْ نَازِلَةً نَزَلَتْ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَشَمَلَتْهُمْ بَلِيَّةٌ كَانَتْ فِي حِزْبِ اللَّهِ بِالتَّقْوَى مِنْ كُلِّ بَلِيَّةٍ، أَلَيْسَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾»^٢.

قوله عليه السلام: «وَإِنْ كَانَ جُزْمِي [قَدْ أَخَافَنِي مِنْ عُقُوبَتِكَ فَإِنْ رَجَائِي قَدْ أَشْعَرَنِي بِالْأَمْنِ مِنْ نِقَمَتِكَ]

أشار عليه السلام إلى مقام المخلصين الذين تساوى رجائهم و خوفهم و لم يزد أحدهما على الآخر مقدار خردل.

و عن الحارث بن مغيرة^٣ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت: له ما كان في وصية لقمان؟ قال: «كَانَ فِيهَا الْأَعَاجِيبُ وَ كَانَ أَعْجَبُ مَا كَانَ فِيهَا أَنْ قَالَ لِابْنِهِ: خَفِ اللَّهَ خِيفَةً لَوْ جِثَّتْ بِيَرُّ الثَّقَلَيْنِ لَعَذَّبَكَ وَ أَرَجَ اللَّهُ رَجَاءً لَوْ جِثَّتْهُ بِذُنُوبِ الثَّقَلَيْنِ لِرَحْمِكَ. ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: كَانَ أَبِي يَقُولُ: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَ فِي قَلْبِهِ نُورَانِ: نُورُ خِيفَةٍ وَ نُورُ رَجَاءٍ، لَوْ وَزَنَ هَذَا، لَمْ يَزِدْ عَلَى هَذَا وَ لَوْ وَزَنَ هَذَا، لَمْ يَزِدْ عَلَى هَذَا»^٤.

قوله عليه السلام: [قَدْ عَزَّضَنِي [لِعِقَابِكَ]

أي: جعلني مستحقاً لعقوبتك و عذابك.

قوله عليه السلام: [أَذْنَنِي [حُسْنُ ثِقَتِي بِثَوَابِكَ]

أي: أعلمني.

و حسن الثقة: التوكل مع جمع الأسباب

١- سورة الدخان، الآية ٥١.

٢- الكافي، ج ٢، ص ٦٥، باب التفويض إلى الله و التوكل عليه، ح ٤.

٣- في المصدر: «المغيرة».

٤- الكافي، ج ٢، ص ٦٧، باب الخوف و الرجاء، ح ١.

قوله [عَلَيْهِ]: وَإِنْ أَنَا مَتْنِي [الْغَفْلَةُ]

أي: وإن أغفلني سوء فطرتي عن التهيأ للمسير إلى بساط لقائك.

قوله [عَلَيْهِ]: وَإِنْ أَوْحَشَ [مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ فَرَطُ الْعَصِيَانِ وَ الطُّغْيَانِ]

أي: وإن حجب ما بيني وبين ساحتك وجعلني مستوحشاً من طاعتك.

وفيه إشارة إلى أَنَّ المعصية حاجبة بين العبد وربّه و مانعة عن وصوله إلى مقام القرب

الصمداني.

و البُشْرَى بالضم: البشارة.

قوله [عَلَيْهِ]: [أَسْأَلُكَ] بِسُبُحَاتِ وَجْهِكَ

أي: بجلال ذاتك وعظمته من أن يدرك شيء ويصفه شيء.

قوله [عَلَيْهِ]: بِأَنْوَارِ قُدْسِكَ [وَأُبْتَهِلُ إِلَيْكَ بِعَوَاطِفِ رَحْمَتِكَ وَ لَطَائِفِ بَرِّكَ، أَنْ تُحَقِّقَ

ظَنِّي بِمَا أَوْمَلُهُ مِنْ جَزِيلِ إِكْرَامِكَ، وَ جَمِيلِ إِنْعَامِكَ فِي الْقُرْبَى مِنْكَ، وَ الزَّلْفَى لَدَيْكَ وَ التَّمَتُّعَ بِالنَّظَرِ إِلَيْكَ، وَ هَا أَنَا مُتَعَرِّضٌ لِنَفَحَاتِ رَوْحِكَ وَ عَطْفِكَ، وَ مُتَتَجِّعٌ غَيْثَ جُودِكَ وَ تُطْفِكَ].

أي بتجليات ذاتك في كلّ شيء التي لم يدرك كنهها شيء ولم يصف كيفوفيتها شيء،

و يحتمل أن يكون المراد الأنبياء والأولياء، فَإِنَّ الله تعالى يتجلّى فيهم بصفة نورانيته، فهم

مجالى صفاته ومظاهر أسمائه ومرائى ذاته وهم آل الله الذين من عرفهم فقد عرف الله و

من جهلهم فقد جهل الله و من عبدهم فقد عبد الله.

و الابتهاال: التضرّع في السؤال.

و العطف: الشفقة.

قوله [عَلَيْهِ]: أَنْ تُحَقِّقَ

أي: تكرّمني بكرائم رحمتك و تشرّفني بمقام نعمتك حتى لا أكون من الذين ضاعت

آمالهم.

و القريبى و الزلفى: بمعنى واحد.

قوله [عَلَيْهِ]: وَ التَّمَتُّعُ

أي: التلذذ بمشاهدة أنوار قدسك في كل شيء.

قوله [عَلَيْهِ]: لِنَفْحَاتِ

أي: لهب رياح قربك.

و المنتجع: الطالب للمعروف.

قوله [عَلَيْهِ]: فَأَرْ

أي: تأنب عما أوجب غضبك من المعصية و الطغيان عاملاً لعمل صالح يوجب رضاك.

قوله [عَلَيْهِ]: هَارِبٌ

أي: ليس لي ملجأ إلا أنت فأليك ألتجأ و بك أستعين في مسيري إليك.

قوله [عَلَيْهِ]: أَحْسَنَ مَا لَدَيْكَ

أي: بحسب استعدادي و قابليتي لفوزي بلذة القرب، لاختلاف مقامات القرب

باختلاف الاستعدادات، فالقرب الذي به يفوز العوام و يحسبونه أحسن من كل شيء غير القرب الذي يفوز العلماء و هكذا.

و المعول: المعتمد.

قوله [عَلَيْهِ]: مَا بَدَأْتُ

أي: و اجعلني فائزاً لمقام قدسك و وقّني للفوز بجناب قربك، فإنك لقد عزّت خلقي

لتلك الغاية و ابدعني لذلك الغرض، حيث قلت: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^١

قوله [عَلَيْهِ]: فَلَا تَسْلُبْنِي

أي: لا تخذلني حتى أعمل بمعاصيك، فاحرم عن مقام قربك و البعد عن بساط عزّ

عبوديتك.

قوله [عليه السلام]: وَمَا سَتَرْتَهُ

أي: ولا تفضحني عنه خلقك بكشف الستر عن معايبي التي أخفيت عنها تحنناً عليّ.

قوله [عليه السلام]: فَأَغْفِرْهُ

أي: بتوبتي وإنباتي.

قوله [عليه السلام]: إِسْتَشْفَعْتُ

أي: أجعلك وسيلة إلى عفوك، إذ غيرك إنما يكون مثلي ذليلاً تحت أمرك ومقهوراً بحكمك، فلا ينبغي لي أن أ جعله شافعاً إليك وأقدمه وسيلة إلى ما لديك.

و الرغبة: الحرص و الطمع و تستعمل في السؤال و الطلب.

و الويل بالفتح و السكون: جمع الوايل و هو المطر الشديد.

و الطول بالفتح: الفضل و النعمة.

و الإغمام: جمع الغمام و هو السحاب الأبيض.

و المرضاة: ما في رضى الخالق من محاسن الأعمال.

و الجناب: الفناء.

و الوارد: ضدّ الصادر، يقال: ورد الماء إذا قصده و أتاه و صدر عنه إذا رجع.

و الشريعة: مورد الماء للاستسقاء.

و الرغد: العطاء و العون.

و الالتماس: الطلب.

و السنّي: كالشريف وزناً و معنى من سنى الشيء إذا أعلى و أضاء.

و الوافد: الوارد و قيل: الماشي.

قوله [عليه السلام]: مُرِيداً وَجْهَكَ:

أي: لا أقصد في سلوكي إليك غيرك؛ بل أنت مقصدي في سيري هذا.

و الطارق: الآتي في الليل، قيل: سمي بذلك لاحتياجه إلى دق الباب.

و المستكين: المقرّ بالاستكانة و هي الذلّة.

قوله [عليه السلام]: مَا أَنْتَ أَهْلُهُ

أي: تستحقه من العفو والغفران.

المناجاة السادسة يسمّى بمناجاة الشاكرين

إِلَهِي أَذْهَلْنِي عَنْ إِقَامَةِ شُكْرِكَ تَتَابَعُ^١ طَوْلِكَ، [وَأَعْجَزَنِي عَنْ إِحْصَاءِ ثَنَانِكَ فَيُضْ
فَضْلِكَ وَشَغَلَنِي عَنْ ذِكْرِ مَحَامِدِكَ تَرَادُفُ عَوَائِدِكَ، وَأَغْيَابَنِي عَنْ نَشْرِ عَوَارِفِكَ، تَوَالِي
أَيَادِيكَ.

توجه إلى الحق بوجه الإقرار بالتقصير عن شكر نعمائه.

فقال [عليه السلام]: أَذْهَلْنِي

أي: اغفلني عن أداء شكرك قدر ما استطيعه كثرة احسانك إليّ بأن كرّمتني بفضلك
ونعمتك فتواترت عليّ من جنابك آلاء لا تحصى ونعماء لا تعدّ فغرتني تلك النعم
واغفلتني عن شكرك وطاعتك، فإنّ العبد إذا أقبل إليه مولاه بوجه اللطف والشفقة قد
يغرّ، فلا يبالي عصيانه لحسن ظنّه به.

قوله [عليه السلام]: وَأَعْجَزَنِي

أي: كثرة فضلك على عبدك الذليل الذي لا يقدر على شيء لقد حملته على الإقرار
بالعجز عن أداء شكرك واحصاء ثنائك واستقصاء نعمائك؛ كيف ولا يقدر على شكر نعمة
حقيرة انعمت بها عبدك الذليل الأذلّ أحد من خلقك ولا يستطيع على إحصاء ثناء
وجهك أحد من عبادك؛ كيف كيف وهم خلق أذلاء لا يدركون كنه رأفتك ولا يبلغون مقام
رحمتك؛ كيف وقد جلّت نعمتك من أن يشكرها أحد و تعالت علواً كبيراً.

١- في المخطوطة: «يتابع»، وما أدرجناه من المصادر.

منابع تحقيق

- ١- الاعتقادات في دين الإمامية، تحقيق: عصام عبدالسيد، الطبعة الثانية، نشر: دار المفيد، بيروت، ١٤١٤ ق.
- ٢- الأمالي، السيد المرتضى، تحقيق: السيد محمد بدر الدين النعساني، الطبعة الأولى، نشر: مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ١٣٢٥ ق.
- ٣- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، تحقيق: إبراهيم الميانجي و محمد باقر البهودي، الطبعة الثانية المصححة، نشر: مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٣ ق.
- ٤- تاريخ الإسلام، الذهبي، تحقيق: د. عمر عبدالسلام تدمري، الطبعة الأولى، نشر: دار الكتب العربي، بيروت، ١٤٠٧ ق.
- ٥- الصحاح، الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور العطار، الطبعة الرابعة، نشر: دارالعلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧ ق.
- ٦- الصحيفة السجادية، الإمام زين العابدين عليه السلام، تحقيق: السيد محمد باقر الموحّد الأبطحي، الطبعة الأولى، نشر: الإمام المهدي عليه السلام و مؤسسة الأنصاريان، قم، ١٤١١ ق.
- ٧- عوالي اللئالي، لابن أبي الجمهور الأحساني، نشر: سيّد الشهداء عليه السلام، قم، ١٤٠٥ ق.
- ٨- عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي، نشر: مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٤٠٤ ق.
- ٩- الكافي، ثقة الإسلام الكليني، تحقيق علي أكبر الغفاري، الطبعة الثامنة، طهران، نشر: دار الكتب الإسلامية، ١٣٧٥ ش.

- ١٠- الكشّاف، جاره الله الزمخشري، إعداد: عبدالرزاق المهدي، نشر: دار إحياء التراث العربي و مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٤٢١ ق.
- ١١- نفس الرحمن في فضائل سلمان، ميرزا حسين النوري الطبرسي، جواد القيومي، الطبعة الأولى، نشر: مؤسسة الآفاق، ١٤١١ ق.
- ١٢- وسائل الشيعة، الشيخ حرّ العاملي، الطبعة الثالثة، نشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام، قم، ١٤١٦ ق.